الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التـــعليـــــم العـالــي والبحـــث العلمـــي

Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المـركز الجامعـي عبد الحفيـظ بو الصــوف –ميلة–

معهد الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

تمظهرات الخطاب الديني

في "رواية القلاع المتآكلة"

لمحمد ساري

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب جزائري

إعداد الطالبتين:

- غربوج عائشة
- بورويس هاجر

إشراف:

د/ سليمة خليل

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
1	د.موسى كراد	أ. محاضر	ميلة	رئيسا
2	د.سليمة خليل	أ. محاضر "أ"	ميلة	مشرفا ومقررا
3	د. وهيبة جراح	أ.محاضر	ميلة	مناقشا

السنة الجامعية:2023/2022

شكر وعرفان

أولا نشكر الله الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة ووفقنا في إنجاز هذا العمل و أمد لنا الصبر و العزيمة

كل الشكر والتقدير لأستاذتنا الفاضلة " سليمة خليل" لتعاملها الطيب وتشجيعها الصادق جزاها الله خيرا

كما نتوجه بجزيل الشكر و الامتنان إلى الأستاذ " سعيد زعباط"

إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد على إنجاز هذا العمل و شكر خاص للجنة المناقشة

هاجر، عائشة

إهداء

إلى أعز الناس و أقربهم إلى قلبي إلى والدتي العزيزة و والدي العزيز اللذان كانا عونا وسندا لي حفظهما الله و أطال في عمرهما

إلى الذين منحوني معنى العطاء و الثقة وكانوا سندا في طريقي العلمي أخواتي (أمال، كوثر) ، إلى أخوي (محمد، علي)

إلى صغار العائلة(إكرام ، تسنيم، يونس، لجين)

إلى من كانت سندي في السراء والضراء ورفيقة دربي ورمز الوفاء و الإخلاص صديقتي الغالية (حليمة)

إلى من قاسمتني عناء هذا البحث (ريان)

إلى من عشت معهن أجمل اللحظات لن أنساهن مهما طال الزمن (شهلة، رفيقة، عائشة، خلود، رميسة) وفقهن الله فيما يسعين إليه

هاجر

إهداء

إلى السند والقدوة والدي العزيز

إلى من بها أعلو وعليها أرتكز وإلى القلب المعطاء والدتي العزيزة

إلى إخواتي سندي وملاذي (حياة، زينة، إبتسام، وحيدة)

إلى إخوتي قوتي وضلعي الثابت (بلال، طارق، سفيان، يوسف، فادي)

إلى براعم العائلة وفلذات كبدي (راما، تاج الدين، لؤي، وسيم، جنة الأبرار)

إلى رفيقات المشوار وإلى من عشت معهم أجمل اللحظات (شهلة، رفيقة، هاجر، حليمة، عائشة، خلود، نورهان)

إلى كل من راهن على فشلي

عائشة

مقدمة

تعد الرواية الجزائرية من أكثر الأجناس الأدبية الّتي استطاعت تمثيل الواقع والتعبير عنه، عبر فترات زمنية متفاوتة، فقد شهدت هذه الرواية تحولات كثيرة على مستوى المضامين؛ حيث كانت تستقي هذه التغيرات من تغيرات الظروف والبنى الإجتماعية من مرحلة إلى أخرى؛ إذ استطاعت أن تحتوي الرّاهن وتعكسه في صورة فنية سردية وذلك بطرقها عديد الإشكالات الّتي شغلت مساحة كبيرة من اهتمام النقاد والروائيين، ولعلّ قضية الخطاب الدّيني وأدلجته كانت أهم تلك الإشكالات الّتي هيمنت على الرواية الجزائرية لاسيما فترة الأزمة؛ إذ حظي هذا الموضوع بتوظيف إشكالي على مستوى الخطاب الروائي بخاصة رواية العنف الّتي مثلت مرحلة انتقالية في مسيرة الرواية الجزائرية حين حاول هذا النمط استيعاب الراهن المتغير فاتخذ من الأزمة الجزائرية والإشكالات الأيديولوجية الّتي أفرزتها تلك المرحلة موضوعًا لمتنها الحكائي، ولكن الجدير بالذّكر أن حضور الدين في الرواية كان حضورًا يهدف إلى الكشف عن أيديولوجيا الخطاب الدّيني الجديد المتطرّف الّذي عمّ أنحاء البلاد في تسعينات القرن الماضي و بخاصة أن كل الوقائع الدمويّة كانت لصيقة بالتيار الإسلاموي، ولعلّ دراستنا جاءت في أشكال وتمظهرات الخطاب الدّيني في الرواية الجزائرية متخدين من رواية " القلاع المتآكلة " للكاتب "محمد ساري " أنموذجًا والّذي تطرّق فيها إلى ظاهرة الخطاب الدّيني والعنف الأصولي وما صاحبه من تغيير في المفاهيم والأيديولوجيات والبحث في جذور الأزمة وبناء على استطلاعنا عن هذا الموضوع تبادرت إلى أذهاننا عدّة إشكالات أهمّها:

ـ كيف تمظهر الخطاب الديني على مستوى عناصر البنية السردية والمنظومة الفكرية ؟

ومن **أهم الدّوافع** الّتي جعلتنا نختار هذا الموضوع هو التعرف على الطريقة التي طرقت بها الرواية المفهوم الجديد للخطاب الديني وكذلك الكشف عن حقيقة نظرة الأنا (الشخصية المتطرّفة) للآخر (السلطة السياسية) .

قمنا بدراسة تحت عنوان "**الخطاب الديني في رواية القلاع المتآكلة لمحمد ساري**"ولكي نحقق هذه الغاية قمنا بتقسيم البحث إلى خطة منهجية تشكلت من مقدمة وفصلين (نظري و تطبيقي) وخاتمة .

الفصل الأول: هو فصل نظري تحت عنوان الخطاب الدّيني وخلفيات تشكله السياسية و الإجتماعية قمنا فيه بصياغة مفهوم الخطاب و الخطاب الدّيني وقدّمنا توضيحًا في أسباب وخلفيات تشكله في الجزائر.

الفصل الثاني: تطبيقي بعنوان تمظهرات الخطاب الدّيني في الرواية من خلال الشخصيات والمعجم اللّغوي والفضاء المكاني والفضاء الزماني، وكذلك تطرّقنا إلى مظاهر أدلجة الدّين وتسييسه في الرواية وخاتمة تضمنت أهم نتائج هذا البحث.

ولإنجاز هذه الدّراسة اعتمدنا على **المنهج السوسيونصي** لأنه الملائم لمثل هكذا مواضيع والّذي يجمع بين البنى الإجتماعية والأفكار الأيديولجية وإنعكاسها وتمظهرها سرديًا وجماليًا.

أمّا عن **المصادر والمراجع** فقد عدنا إلى العديد منها وكان أهمها:

- رواية القلاع المتآكلة "لمحمد ساري".
- تحليل الخطاب الروائي "لسعيد يقطين".
- الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف "ليوسف القرضاوي".
- الدين والأيديولوجيا جدلية الدّيني والسياسي والماركسية "لمحمد الرحموني".
- المقدس الإسلامي "لنور الدين الزاهي".

أمّا بالنسبة **للدراسات السابقة لهذا الموضوع** وجدنا العديد منها:

- الحداثة السردية في الرواية الجزائرية نقد المرجعيات في رواية الأزمة لسليمة خليل .
- المحظور الديني في الرواية الجزائرية المعاصرة لمليكة صياد.
- الخطاب الديني في الرواية الجزائرية المعاصرة لعبد العالي زغليط.

أمّا عن الصعوبات فلا يخلو بحث مهما كانت درجته العلمية من العقبات، والّتي واجهتنا العديد منها في إعداد بحثنا نترفع عن ذكرها.

وفي هذا المقام العلمي الجليل لا ينبغي أن أغفل عن الإشادة بمجهودات الأستاذة المشرفة "سليمة خليل" الّتي بحق شرفتنا بحرصها وتوجيهاتها ونصائحها العلمية؛ بحيث تابعت بحثنا منذ أن كان فكرة إلى أن بلغ درجة الإكتمال ولها فائق الإحترام والتقدير والإمتنان دون أن أنسى التنويه بفضل اللجنة المناقشة الّتي حملت عبئ هذا العمل بقراءتهم النقدية وملاحظاتهم القيّمة التي زادت بحثنا قيمة ووزنا كما أتقدم بجزيل الشكر إلى أستاذي الفاضل الدكتور "سعيد زعباط" الذي منّ علينا بنصائحه.

وفي الأخير أتمنى أن يكون هذا البحث إضافة علمية ومرجعا مفيدًا لكلّ طالب ونسأل الله التوفيق والسداد.

الفصل الاول

المرجعيات الفكرية للخطاب الديني

أولا: مفهوم الخطاب

1-لغة

2-إصطلاحا

ثانيا: مفهوم الخطاب الديني.

ثالثا: ظروف وخلفيات تشكل المفهوم الجديد للخطاب الديني في فترة الأزمة.

على الرَّغم من الجهود التي بدلها الباحثون الغربيون وكذلك العرب، في سبيل بناء وتطوير مفهوم الخطاب، كونه من أهم الإشكاليات التي لم يحل إشكالها بعد، فإن مصطلح الخطاب الذي تصدّر موضوع بحثنا، من أكثر المصطلحات تعقيدًا وأكثرها إنتشارًا في المجالات المعرفية المختلفة.

أولا: مفهوم الخطاب "le discours"

1.لغة

جاء في لسان العرب "لابن منظور" (خ ط ب) قوله: "**مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبةً وخطاباً، وهما يتخاطبان والمُخاطبة صيغة مبالغة تفيد الاشتراك والمشاركة في فعل ذي شأن**"[1].

أمّا تعريف الخطاب في معجم "العين للخليل بن أحمد الفراهيدي": "**الخطب: سبب الأمر، وفلان يخطب امرأة ويَختَطبُهآ خِطبةً، والخطبة مصدر الخطيب، وكان الرجل في الجاهلية إذا أراد الخطبة قام في النادَى فقال: خطبٌ، ومن أراده قال: نكحٌ، وجمع الخطيب خطباء، وجمع الخاطب خطاب**"[2].

وفي القاموس المحيط للعلامة اللغوي "الفيروزأبادي" نجد تعريف الخطاب: " **الخطب: الشأن والأمر صغُر أو عظُم، جمع خطوب وخَطبَ المرأة خِطبةً، وخَطبَ الخاطِبُ على المنبر خَطابةً، بالفتح، وخُطبةً، بالضم وذلك الكلام: خطبةً أيضاً، أو هي الكلام المنثور المُسجَّع ونَحوُه، ورجل خطيب حسن الخطبة، وفضل الخطاب: الحكم بالبينة أو اليمين أو الفقه في القضاء، أو النطق بأَمَّا بعد**"[3].

---

[1]–ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، مجلد5، ط جديدة، بيروت، لبنان، 2000، مادة (خ ط ب)، ص89.

[2]–الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، ج1، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، ص418–419.

[3]–العلامة اللغوي الفيروز أبادي: القاموس المحيط ، مؤسسة الرسالة، ط فنية منقحة مفهرسة، ص81.

وفي معجم مقاييس اللغة "لابن فارس" نجده يقول:

"خطب الخاء والطاء والباء أصلان: أحدهما الكلام بين إثنين، يقال: خاطبه يخاطبه خطابًا والخطبة من ذلك, قال الله تعالى: { لا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء }. والخطبة الكلام المخطوب به والخطب: الأمر يقع، وإنما سمي بذلك لما يقع فيه من التخاطب والمراجعة ."[1]

أمّا في أساس البلاغة "لزمخشري" فإننا نجد تعريف الخطاب في قوله:

"خطب: خاطبه أحسن الخطاب، وهو المواجهة بالكلام، وخطب الخطيب خطبة حسنة. وخطب الخاطب خطبة جميلة، وكثر خطابها وهذا خطبها وهذه خطبة وخطبته، وتقول له: أنت الأخطب البين الخطبة، فتخيل إليه أنه ذو البيان في خطبته، وأنت تثبت له الحماريّة."[2]

كما نجد في قاموس المنجد في اللغة، تعريف الخطاب عند المعلوف كالتالي:

"خطب، خطبة وخطابًا وخطابة: وعظ، قرأ الخطبة على الحاضرين يُقال: خطب القوم وفي القوم ",

خَطُبَ، خطابةً: صار خطيباً، خاطب خطاباً ومخاطبة: كالمه."[3]

نلحظ أنَّ هذه المفاهيم الواردة في مختلف المعاجم، التي ذكرناها تشترك في نفس المفهوم بمعنى أن كلمة الخطاب توجيه الكلام نحو الغير للإفهام.

[1]–أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، ج2، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ص198.

[2]–محمود بن عمر الزمخشري: أساس البلاغة، ج1، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1998م، ص239.

[3]–لويس معلوف: المنجد في اللغة، دار الشرق، المطبعة الكاتوليكية، بيروت، 1991، ص186.

2. اصطلاحا

لقي الخطاب شيوعًا بين العديد من فروع المعرفة والدراسة كالفلسفة والنظرية النقدية حيث تم استعمال هذا المصطلح الجديد، فهو كمفهوم لساني وجدنا بأنه يمتدّ إلى جذور المتعاليات من قرآن كريم وشعر جاهلي وحتى في الإلياذة و الأوديسا التي تعتبر من الدراسات الغربية وتُعد نماذج حية عن الخطاب.

"يتردد لفظ الخطاب كثيرًا بالاقتران بوصف آخر مثل الخطاب الثقافي والخطاب الصوفي الخطاب السياسي والخطاب التاريخي ولذلك ورد الخطاب بتعريفات متنوعة في هذه الميادين العديدة بوصفه فعلاً، يجمع بين القول والعمل فهذا من سماته الأصلية.

وقد ورد معنى الخطاب عند العرب قديمًا، كما ورد عند الغربيين مع درجات من التفاوت أو التقارب في معناه

أ. **عند العرب: إن لفظ الخطاب قد ورد أكثر ما ورد عند الأصوليين انطلاقًا من أن الخطاب هو الأرضية التي استقامت أعمالهم عليها، بل كان محور بحثهم غير أن البعض قد أغفل تعريفه وقد يكون ذلك لبداهته عندهم، وعند غيرهم حينذاك في حين عرض البعض الآخر له مثلما فعل الآمدي فقد عرَّف الخطاب تعريفاً بيناً؛ إذ يرى "أن اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيء لفهمه.**

وقريب منه ما فعل الجويني أيضا بقوله: "إن الكلام والخطاب والتكلّم والتخاطب، والنّطق واحد في حقيقة اللغة."[1]

إنَّ "الآمدي" من خلال تعريفه للخطاب يُخرجُ العلامات الغير لغوية؛ إذ لا يعتدُّ باستعمالها في الخطاب.

[1]– عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2004، ص34-36.

أمّا "الجويني" فلم يتجاوز في كلامه تصنيف الخطاب، وتثبيت مفهومه إلى جانب المفاهيم الأخرى المقاربة له.

ب. أمّا عند الغربيين: "**أما في الأدبيات الحديثة، فقد ورد مصطلح الخطاب غالبًا ولأوّل مرّة عند هايمزhimez، بيد أن مفهوم الخطاب قد ناله التعدّد والتنوّع وذلك بتأثير الدّراسات التي أجراها عليه الباحثون حسب اتجاهي الدّراسات اللغويّة الشكلية والدّراسات التواصليّة، ولهذا فهو يُطلق إجمالا على أحد المفهومين:**

الأول: أنه ذلك الملفوظ الموجّه إلى الغير بإفهامه قصداً معيناً

الثاني: الشكل اللغوي الذي يتجاوز الجملة

وبمعنى آخر يحدّد بنفيست الخطاب بمعناه الأكثر اتساعًا بأنه كلّ تلفظ يفترض متكلماً ومستمعاً وعند الأوّل هدف التأثير على الثاني بطريقة ما.

وقد عرضت ديبورا شيفرن (deborah shivren) ثلاثة تعريفات تمثّل مناهج معيّنة، فقد ورد مفهوم الخطاب عند الباحثين بوصفه واحداً من ثلاثة:

بوصفه أكبر من الجملة أو بوصفه استعمال أي وحدة لغويّة أو بوصفه الملفوظ."[1]

لقد انتقلت "ديبورا شيفرن" في تعريف الخطاب بوصفه استعمال للغة كما هو عند بعض الباحثين، وذلك بتجاوز وصف الخطاب وصفاً تشكيلياً.

"**يمكن النَّظر إلى الخطاب بوصفه استراتيجية التلفظ، أو بوصفه نظاماً مركباً من عدد الأنظمة التوجيهيّة والتركيبيّة والدلاليّة والوظيفيّة الَّتي تتوازى وتتقاطع جزئياً أو كلياً في ما بينهما، وإذا صحَّ هذا النّظر فهذا يعني أن الخطاب يمكن وصفه ببرنامج التّلفظ الّذي**

[1]– المرجع السابق: ص36.

نخضع لنظامه خلال عملية التلفظ، ونخرج أو نتمرَّد على نظامه، في الوقت نفسه، إنّه نظام القول أو الفعل الذي يسكن وعينا، ويكيِّف سلوكنا,"[1]

بمعنى أنَّ الخطاب هو نظام للتواصل الإجتماعي يوصف على أنه:

- **"نظاماً للتَّفاعل والجدل بين أطراف العملية التواصلية أيْ بين المتلفظ وملفوظه.**
- **أو بوصفه نظاماً للفعل الفاعل من طرفٍ واحد فقط.**
- **أو بوصفه نظاماً للتبعية والخضوع ، أو الاستتباع، لاستتباع المتلفظ لملفوظاته وفرض شروط تبعيّتها له"[2].**

ويعرف "بنيفست" benifest الخطاب على أنه "**أبلغ الأثر في الدِّراسات الأدبية الَّتي تقوم على دعائم لسانية، والَّذي يرى أنّ الجملة تخضع لمجموعة من الحدود؛ إذ هي أصغر وحدة في الخطاب، ومع الجملة نترك مجال اللِّسانيات كنظام للعلامات، على اعتبار أنَّ الجملة تتضمن علامات وليس علامة واحدة، وندخل إلى مجال آخر حيث اللِّسان أداة للتّواصل نعبر عنه بواسطة الخطاب,"[3]**

سعى "بنفيست" إلى تعريف الخطاب من وجهة نظر مختلفة، فقد جعلنا أمام مجالين مختلفين يعانقان الواقع الواحد، مجال اللِّسانيات كمجموعة علامات مستخلصة بواسطة إجراءات صارمة، ومجال تجلِّي اللِّسان في عمليَّة التَّواصل، وتبعاً لذلك تغذو الجملة منتمية إلى الخطاب.

"يكاد يجمع كُلّ المتحدِّثين عن الخطاب وتحليل الخطاب على ريادة زيليغ هاريس 1952 وفي هذا المضمار من خلال بحثه المعنون بتحليل الخطاب إنَّه أوَّل لساني حاول توسيع

---

[1]- عبد الواسع الحميري: ما الخطاب وكيف نحلله، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 2009، ص10- 12.

[2]- نفسه ، ص13.

[3]- سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي(الزمن- السرد- التبئير)، الدار البيضاء، ط2، بيروت، 1997، ص18.

حدود موضوع البحث اللِّساني بجعله يتحدى الجملة إلى الخطاب فقد عرَّف الخطاب بأنَّه ملفوظ طويل، أو هو متتالية من الجمل تكون مجموعة منغلقة يُمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر بواسطة المنهجية التوزيعية وبشكل يجعلنا نظل في مجال لساني محض".[1]

من خلال هذا التعريف يسعى "زيليغ هاريس" (Zelig Harris) إلى تطبيق تصوُّره التوزيعي على الخطاب والذي بواسطته تصبح كُلّ متتاليات العناصر لا يلتقي بعضها البعض بشكل اعتباطي؛ إذ أنَّ التوزيعات التي تلتقي من خلالها هذه العناصر تعبِّر عن انتظام معين يكشف عن بنية النص.

❖ الخطاب في القرآن الكريم

لقد ورد الخطاب بصيغ متعدِّدة في القرآن الكريم: "**منها صيغة الفعل في قوله تعالى: {وإذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوْ سَلاَمَا}، والمصدر في قوله تعالى :{ربِّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابَا}، وفي قوله تعالى عن داود عليه السلام {وشَدَدْنَاَ مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الحِكْمَةَ وفَصْلَ الخِطَابِ}.**

فَقد عدَّ الرازي صفة الخطاب، من الصفات التي أعطاها الله تعالى لداوود، معتبراً إيَّاها من علامات حصول قدرة الإدراك والشُّعور والَّتي يمتاز بها الإنسان على أجسام العالم الأخرى من الجمادات والنباتات وجملة الحيوانات، لأنَّ فصل الخطاب عبارة عن كونه قادراً على التَّعبير عن كُلَّ ما يخطر بالبال، ويحضر في الخيال."[2]

❖ الخطاب في السنّة النبوية

[1]– المرجع السابق: ص17.

[2]– عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص 35.

" لم ترتبط خطب الرَّسول صلَّى الله عليه وسلم بالخطبة الدينيَّة المقصود منها خطبتي الجمعة والعيدين، وصلاة الإستسقاء وإنَّما ارتبطت بالخطبة مطلقاً فقد كان الرَّسول صلَّى الله عليه وسلَّم، يخطب بالنَّاس في الأحداث والمسائل العامَّة وعند المناسبات دائمًا ولم يكن لهذا علاقة بالصَّلوات بل هي خطبة للفصل بين الناس وتعليمهم وإبلاغهم الوحي".[1]

❖ الخطاب في أصول الفقه

أمّا في أصول الفقه فإنَّ تعريف الخطاب:" **هو توجيه الكلام إلى الآخرين للإفهام، سواء كان الإفهام في كلِّ الحال، أم في المسبقل.**

الكلام الذي يُقصد به إفهام من هو متهيء للفهم، ومنه قولهم: خطاب الشَّرع أي كلامه الموجَّه إلى من هو متهيء للفهم، وهو المكلَّف البالغ العاقل."[2]

ثانيا: مفهوم الخطاب الديني

يعدُّ الخطاب الدِّيني الخطاب المقترن بالحكمة والَّذي يستند إلى مصادر التَّشريع الإسلامي: وهي القرآن الكريم، والسنَّة النبويَّة، ومصادر التَّشريع الإسلاميّة الأخرى، كما أنَّه أحد أهم وسائل الدعوة إلى الله تعالى، الّتي قد اعتمد عليها الدُّعاة خصوصاً بعد انتشار الإسلام في المجتمعات العربية الإسلاميّة، أضف إلى ذلك أنّه السبيل الوحيد لنشر القيم ومبادئ الدِّين الإسلامي والعقيدة الإسلاميّة.

يعرِّفه "أبو الرّشت" على أنَّه "**مصطلح جديد داع في العصر الحديث وأوَّل من أطلقه الغرب، ولم يُعرف هذا المصطلح من قبل في ثقافة المسلمين، بمعنى أنَّه ليس مصطلحاً له وضع شرعي في الإسلام كالمصطلحات الشرعيَّة الأخرى مثل الجهاد والخلافة".[3]**

---

[1]– فنسينك وآخرون: دائرة المعارف الإسلامية، وزارة المعارف المصرية، مصر، 1933، ص370.

[2]– قطب مصطفى سانو: معجم المصطلحات وأصول الفقه، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 2000، ص197.

[3]–عطاء الله أبو الرشت: دراسات في أصول الفقه تسيير الوصول إلى الأصول، دار الأمة، ط1، 2002، ص7.

بمعنى أن هذا المصطلح لم يرد ذكره من قبل في ثقافتنا ولا علاقة له بالإسلام وهذا حسب ما ذهب إليه "أبو الرّشت".

وفي تعريف آخر نجد المراد به:" **هو البيان الذي يوجَّه باسم الإسلام إلى النَّاس مسلمين وغير مسلمين لدعوتهم إلى الإسلام أو تعليمه لهم وتربيتهم عليه، عقيدة أوشريعة، عبادة أو معاملة، فكراً أو سلوكاً أو لشرح موقف الإسلام من قضايا الحياة والإنسان والعالم.**"[1]

وهذا التَّعريف مناقض تماماً للتَّعريف الذي اعتمده "أبو الرّشت" حيث نجد "القرضاوي " ربطه بالإسلام واعتبره وثيقة تصدر باسم الدِّين الإسلامي موجَّهة إلى النَّاس كافة تدعوهم إلى إعتناقه وتبيِّن موقف الإسلام من القضايا التي تواجه الإنسان في حياته والعالم المحيط به.

يرى الكثير من المفكِّرين المعاصرين أنَّ "**الخطاب الديني لا يخرج عن كونه خطاب الدعاة والوعَّاظ والخطباء والباحثين حيث يقدم لجمهور من النَّاس على أنَّه الوصف السليم والفهم الصَّحيح للإسلام في عقيدته ونظامه الأخلاقي وآدابه وشريعته**".[2]

بينما ذهب البعض إلى أبعد من ذلك بخطوة إلى اعتبار"**الخطاب الدِّيني هو الرِّسالة الَّتي نزلت من فوق سبع سموات عن طريق الوحي لتنظيم علاقات البشر مع خالقهم وأنفسهم وغيرهم، وهذا الخطاب هو الَّذي يحدِّد المصلحة من المفسدة، والصَّالح من الطَّالح، والمستقيم من المعوج، والمؤمن من الكافر، والصَّواب من الخطأ، وهو الميزان الذي يفصل**

[1]– يوسف القرضاوي: خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، دار الشروق، ط1، 2004، ص15.

[2]– محمد عبد الفتاح عمار: الخطاب الديني تجديد لا تبديد وتطوير لا تحريف، داركنوز، القاهرة، ط1، 2017، ص 17.

في ميزان الخلق إلى الجنَّة أو النَّار، وهذا هو الخطاب المقدَّس الَّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهو محفوظ بحفظ الله إلى يوم القيامة,"[1]

والمراد بهذا المفهوم هو حقيقة الدِّين وصورته الكبرى ولا يُنسب إلاَّ إلى الله تعالى أي كلامه وبذلك فهو خارج عن العقل البشري غير خاضع للنَّقد والمراجعة، ومصدره من عند الله، وهو الخطاب الذي يفصل بين الأمور الصَّالحة والطَّالحة ويميِّز بين الخير والشَّر، ومجرَّد من الأخطاء ومحفوظ في رعاية الله.

يعرِّف" **نصر حامد أبو زيد** "الخطاب الديني في قوله" **هو الَّذي يقوم بتفسير كلَّ الظَّواهر الطبيعيَّة والإجتماعيَّة يردَّها جميعاً إلى ذلك المبدأ الأول، إنه يقوم بإحلال الله في الواقع العيني المباشر، ويردُّ إليه كل ما يقع فيه، وفي هذا الإحلال يتمُّ تلقائياً نفي الإنسان، كما يتمُّ إلغاء القوانين الطبيعيَّة والإجتماعيَّة ومصادره أيّة معرفة لا سند لها من الخطاب الدِّيني أو من سلطة العلماء."**[2]

بمعنى أن الخطاب الدِّيني هو إحلال ل " الله " في الواقع ونفي للإنسان كما أنه إلغاء للقوانين الطبيعيّة والإجتماعيّة، ويُورد ذلك في مورد الإستنكار والتشكيك في العقيدة.

وفي تعريف آخر يُعتبر الخطاب الدِّيني" **من أكثر الخطابات عموميَّة بكل أشكاله ومدارسه وتنوُّعاته سواء أكان مقدساً أمْ دنيوياً، نسائياً، وحياً أم إلهاماً، نقلاً أم عقلاً، يمتاز الخطاب الدِّيني بأنَّه سلطوي أمري إدِّعائي يطالب بالإيمان بالغيب بالقضايا العقدية، ويعتمد على التَّصوير الفني وإثارة الخيال والحياة المستقبليّة وما بها من وعود وخلاص من آلام البشر."**[3]

---

[1]– المصدر نفسه: ص 18.

[2]– نصر حامد أبو زيد: نقد الخطاب الديني، سيما للنشر، ط2، 1994، ص 34.

[3]– بسام عبد الرحمن المشاقبة: مناهج البحث الإعلامي وتحليل الخطاب، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2014 ص 113.

من خلال هذا التعريف نلحظ أن الخطاب الدِّيني خطاب يقدِّسه النَّاس حتى يصبح بديلاً عن المقدَّس ذاته، كما أنَّه يحاول بالمطالبة بالإيمان بالغيب ويعتمد على سلطة النَّص أكثر من اعتماده على سلطة العقل.

ثالثا: ظروف وخلفيات تشكُّل المفهوم الجديد للخطاب الدِّيني في فترة الأزمة:

عاش الشَّعب الجزائري في تسعينيات القرن الماضي سنوات أشبه بفيلم بوليسي سنوات مليئة بجميع أنواع التَّعذيب والقتل، أطلق عليها باسم العشرية السوداء وهو صراع بين النظام والجماعات الإسلامية المتطرِّفة حول السلطة، والجدير بالذِّكر أنَّ هذا الصراع لم ينشأ من فراغ بل كان نتيجة لظروف سياسيّة واجتماعيّة واقتصاديّة مرَّت بها الجزائر هذه الأخيرة أدَّت إلى ظهور الخطاب الدِّيني المتطرِّف، والَّذي كان بمثابة نقطة البداية لهذه الحرب القذرة. " **ومن المؤكَّد أنَّ هذا التطرُّف لم يأتي اعتباطاً ولم ينشأ جزافاً بل له أسبابه ودواعيه، وأصحاب النظرة الشَّاملة يعترفون بأن الأسباب متشابكة ومتداخلة.** "[1]

فدخول الجزائر في هذه الدوامة وانقسام شعبها على عِدَّة أحزاب لا يمكن أن نرجعه إلى سبب واحد وإنّما كان نتيجة عدَّة تراكمات وخصوصًا " **أنَّ الحركة الإسلامية الجزائرية منذ مرحلة بن باديس وجمعيته إلى مرحلة الستِّينات كانت ذات إتجاه إصلاحي هدف إلى نشر الثقافة العربية في سائر الأوساط وتطهير العقيدة الإسلاميّة من الخرافات، لتصبح فيما بعد ذات اتجاه راديكالي نتيجة مافرضه الواقع عليها من تغيَّرات وتحوَّلات ارتبط قسم منها باستخدام العنف السياسي,** "[2]

الذي دفع هذه الجماعات إلى حمل السِّلاح والتمرُّد على السُّلطة العسكرية وقد كان خطاب الشَّاذلي بن جديد في 19 سبتمبر 1988 بمثابة الشُّعلة التي تحولت فيما بعد إلى حريق أكل

[1]– يوسف القرضاوي: الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف، دار الشروق،ط1، القاهرة، 2001، ص 49.

[2]– سناء كاظم كاطع: المنطلقات الفكرية للحركة الإسلامية الجزائرية وجدلية العلاقة مع النظام السياسي، مجلة الدراسات الدولية، العدد 45، ص90.

الأخضر واليابس؛ حيث" **وجَّه فيه نقداً لاذعاً لحزب جبهة التَّحرير الوطني وحمَّل رجال الدَّولة مسؤولية تضييع الجزائر ودعا الشَّعب الجزائري للدِّفاع عن نفسه...."**[1]

والذي أراد من خلاله أن يسحب البساط من تحت السَّلطة العسكرية عن طريق تحريك الشَّارع الجزائري، لتدخل البلاد بعد هذا الخطاب في سلسلة من الإضطرابات لتشهد بعد ذلك "**اضطرابات أكتوبر 1988 الَتي عُدَّت الفرصة التاريخية الّتي برزت من خلالها قيادات إسلاميّة كان لها شأن كبير في ذلك الأسبوع الحافل بالمظاهرات التي عمَّت معظم المدن الجزائريّة حيث قاد الإسلاميون الحركة وعلى رأسهم علي بلحاج السجين**".[2]

وبها تم الإعلان عن تأسيس الجبهة الإسلاميّة للإنقاذ والذي يعد أوَّل حزب تُمنح له الشرعيّة القانونيّة، وقد كانت أحداث 1988 لحظة فاصلة في تدهور الأوضاع حيث لم تعرف الجزائر من قبل مشهداً كهذا، وبالرغم من أنَّ المحرِّك الأساسي لتلك الأحداث كان الوضع الإقتصادي إلاَّ أنها أثرت على الجانب السياسي للبلاد أكثر منه الإقتصادي، وقد تمَّ قمع هذه الإضطرابات بالقوَّة العسكريّة حيث راح ضحيتها المئات من الشباب، ليأتي بعد ذلك قانون التعدديّة الحزبية سنة 1989م لتدخل الجزائر عهداً جديداً " **وفجأة ضاقت البلاد بعشرات الأحزاب السياسيّة وعشرات الصُّحف والمجلاّت ولم تكن بنية المجتمع مستعدُّة لتلقِّي هذه الديمقراطية، فلم يبقى ملف لم يُفتح في الجزائر**, "[3] وهذا الوضع مهَّد الطَّريق للجبهة الإسلاميّة للإنقاذ والتي استفادت من الجوِّ الدِّيمقراطي لتكييف نشاطها مستغلَّة

---

[1]– يحي أبو زكريا: الحركة الإسلامية في الجزائر (1978–1993)، مؤسسة العازف للمطبوعات،ط1، بيروت، لبنان، 1993، ص53.

[2]– حاتم رشيد: الأزمة الجزائرية إلى أين، دار سندباد للنشر، عمان، الأردن، 1999، ص27، بتصرف.

[3]– نفسه: ص28.

المساجد لتسويق أفكارها، ففي فترة قصيرة استطاعت ضم عدد كبير من الدُّعاة وأئمة المساجد والطلَّاب والمواطنين وصل إلى أكثر من مليون مناضل خلال عدة أسابيع فقط.

" **إذ كانت "الإسلامويّة"[1] تجتاح المجال الإجتماعي وجمهوره هذا الإجتياح الذي جمَّد الإنتاج الفكري، مفسحاً المجال للمجال السياسي مع الخصوم الإيديولوجيين لينزلق الخطاب، الذي كان إلى عهد قريب يقدِّم نفسه مشروعاً حضاريا شاملاً إلى مجرد مشروع سياسي**".[2]

وبعد تأسيس الأحزاب الإسلاميّة زادت نبرة هذا الخطاب حدَّة وجرأة، ولعلَّها ردَّة الفعل الطبيعيّة على خطاب السّلطة العنيف، مما أدَّى إلى ارتخاء قبضة السّلطة، وهذا بالإضافة إلى الأحداث الّتي عقبت فترة الإنتخابات، ومن ثمَّ جاء المسار الإنتخابي الذي أدخل البلاد في فوضى ليس لها نهاية فبعد إقرار التعدديّة الحزبية ومشاركة الجبهة الإسلاميّة للإنقاذ في الإنتخابات التي " **أقيمت في جوان 1990 وعوض أن تكون المخرج من الأزمة فإنِّها كانت إيذاناً بفقدان السّيطرة على الأزمة وإطلاقها لمدى أبعد**".[3]

إذ كان فوز الجبهة الإسلاميّة يهدِّد كيان السّلطة العسكريّة ويسحب زمام الأمور من بين يديها مما زاد تأزُّم الأوضاع أكثر من ذي قبل فبعد فوزها" **بدأت تحشد كل يوم جمعة** أعداد **كبيرة من المواطنين وتخطب فيهم وتستميل عقولهم وقلوبهم باسم الدِّين خاصَّة في إضراب**

---

[1]- الطاهر سعود: الحركات الإسلامية في الجزائر الجذور التاريخية والفكرية، مركز المسار للدراسات والبحوث، ط1، دبي الإمارات المتحدة العربية، أوت2012، ص104.

– الإسلاموية: أو الإسلام السياسي هي تعبير يعكس جيدا تلك الحركات الساعية مستندة في الاصول الاسلامية ومتوسل بالآليات الحديثة للدعاية والتعبئة بين الجماهير، لإصلاح الدولة والمجتمع فهذه الحركات تمتاز بأن لديها جداول أعمالها السياسية التي تتجاوز الأهداف الدينية المجردة، كما أن قيادتها لا تخضع عادة لرجال الدين التقليديين بل العكس تتحدى نظرتهم ومسلكياتهم إزاء الواقع الإجتماعي.

[2]– زغليط عبد العالي: الخطاب الديني في الرواية الجزائرية المعاصرة، مذكرة دكتوراه، تخصص أدب عربي معاصر، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف2، 2016–2017، ص132.

[3]– حاتم رشيد: الأزمة الجزائرية إلى أين، ص34.

1991 الّذي أظهر سطوة زعمائة في "التَّعبئة الشعبيَّة"[1] في المدن الجزائريّة بما فيها العاصمة، وكانت فرصته ليضغط على السّلطة الّتي لم تجد حلاً إلاَّ من تدخِّل الجيش من أجل فضّ المسيرات والإعتصامات",[2] وقد أفرز عن تذبذب العلاقة بين الطرفين وبخاصّة بعد تدخل القوَّة العسكريّة من أجل إيقاف المسار الإنتخابي خوفًا من تمادي هذا الحزب وحفاظًا على نظام الحكم؛ حيث دخل ضبَّاط الجيش في حملات لمحاربة الجماعات الإسلاميّة وارتكبوا عدَّة مجازر ومذابح راح ضحيتها أرواح بريئة ممَّا زاد إحتدام الصراع لتدخل " **البلاد في غوغاء لا حدود لها ودخل مناضلو الجبهة الإسلاميّة للإنقاذ في مرحلة العنف المسلَّح، حيث تمّ دفع الجماهير إلى العنف المسلَّح والتطرُّف باسم الدِّين والجهاد"[3].**

ونظراً لحالة الشّباب الجزائري في تلك الفترة والتّشتت الّذي كان يعانيه وحالة الضّياع الّتي كان يعيشها، استطاع أعضاء هذا الحزب التأثير عليهم و التَّلاعب بأفكارهم، فاستطاعوا وفي وقت محدود ضمَّ فئة كبيرة من المواطنين إلى صفوفهم وبخاصّة شريحة الشّباب كانت تمثّل الجزء الأكبر من المجتمع الجزائري في تلك الفترة، " **وبعد أحداث 1991، وإلغاء انتخابات 1992، انتقل العنف من الشَّارع إلى خنادق الجماعات المسلّحة ومن ساحات المساجد إلى أعالي الجبال المحيطة بالمدن الكبرى وبالعاصمة بخاصّة، وعمَّ الخطاب غير الرَّسمي بعض التّجمعات السكانية ذات القواعد الحزبية المحسوبة على التيار الإسلامي**

---

[1]- عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة، ج1(أ-ث)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ص 766-767.

- التعبئة الشعبية: معناها التهيئة والتجهيز، وتشمل حركة الأفراد والجماعات في اتجاه الوعي السياسي، وتشمل السياسة والإقتصاد والصناعة الدبلوماسية وتهدف إلى إعداد قوى الشعب وحشد طاقته لعمل وتموين القوات المسلحة، ويتم إعلان قرار التعبئة بقرار سياسي من أعلى سلطة في الدولة وبموجب أحكام الدستور.

[2]- مليكة ضاوي: تجليات الأزمة في الرواية الجزائرية (1995-2005)، مذكرة دكتوراه تخصص أدب جزائري، جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة، 2014، ص222.

[3]- نفسه، ص223.

فكان يعمل على استنفار الناس للعصيان المدني"[1]، وخرق حالة الحصار التي أقرَّها الشّاذلي ليعمَّ الأمن على البلاد إلا أنَّ الجبهة الإسلاميّة حرضت الشّباب الجزائري على مخالفته، لتأتي بعد ذلك الضّربة التي كسرت ظهر الشَّعب وهي استقالة الرَّئيس الشَّاذلي بن جديد بعد فشله في مواجهة الجبهة وعدم تحمُّله لضغط السّلطة العسكريّة، ليتمَّ بعد ذلك تنصيب " **المجلس الأعلى للدولة وخطاب الرّئيس الّذي وجَّهه للأمَّة وبيَّن فيه يده الممدودة للطبقة السياسيّة من أجل الخروج من الأزمة إلَّا أنَّ أنصار الجبهة الإسلاميّة للإنقاد المتشدِّدين بقوا مواصلين مظاهراتهم وتهجُّماتهم كل يوم جمعة بعد الصّلاة، حيث يخرجون في مظاهرات عامَّة بالرَّغمِ من منعها مما أدَّى إلى مواجهات عنيفة بين قوَّات حفظ الأمن وعدد كبير من المتظاهرين أثناء خروجهم مباشرة وهم يردِّدون الله أكبر عليها نحيا وعليها نموت".**[2]

وتواصل الصراع بينهما وقد شهدت البلاد تزايد في عدد الضحايا وبخاصّة سنة 1997، حيث شهد الشّعب الجزائري في هذا العام العديد من المجازر وبخاصّة بعد احتدام الصراع وكثرة المواجهات بين الطرفين.

كل هذا ولا ننسى أنَّ الوضع الإقتصادي للبلاد هو الآخر أسهم وبشكل كبير في دخول الجزائر في هذه الحرب الأهليّة؛ إذ كان في " **تلك الآونة مؤشراً آخر يتحرَّك عكسياً وبخطورة كبيرة فقد كانت أسعار النفط في انخفاض متزايد، بينما تصاعدت مديونية الدولة إذ تجاوزت الدُّيون قصيرة وطويلة العشرين مليار دولار، وهو أمر كشف بقسوة عن هشاشة الوضع الإقتصادي للبلاد، لقد بات المستوى المعيشي وهمياً وخادعاً لا يتلاءم مع القدرة الحقيقيّة للإقتصاد الوطني، وهي قدرة تدنَّت إلى حدٍّ أنَّ الدولة باتت مجبرة على**

[1]– عمرزقاي: التطور التاريخي ونشأة الخطاب الديني غير الرسمي في الجزائر، مجلة الآداب واللغات، العدد1، 24-01-2006، ص163.

[2]– سعد بن البشير العمامرة: الأزمة السياسية الجزائرية 1988-1999، مطبعة الرمال، الجزائر، 2019، ص147.

تغطية أكثر من 60 بالمئة من الإحتياجات الغذائية للشَّعب عن طريق الإستيراد من الأسواق الدولية"[1]، نضيف غلى هذا انخفاض قيمة الدِّينار،" **وتدنِّي القدرة الشرائية للمواطن وتجميد الأجور، وارتفاع أسعار المواد المختلفة بطريقة فوضوية "**[2].

إذ قامت الدولة بسحب دعمها من أغلب المواد الغدائية، وتمَّ إلغاء العلاج المجّاني للفقراء "**كما توقَّفت عملية توزيع السّكن الإجتماعي وتوقَّفت المنح الدراسيّة واستيراد الكتب، ودخلت الجزائر في دوامة إحباط نفسي وعجز إقتصادي وسط بحيرة دينيّة ومأزق سياسي"**[3] وشهدت الجزائر أيضًا في تلك الفترة ارتفاع في نسبة البطالة وصل إلى 25 بالمئة نتيجة لطرد العديد من العمَّال وسلبهم مناصبهم، وكذلك تقهقر الدخل الوطني وارتفاع معدل التضخُّم الذي بلغ حد يثير القلق منذ منتصف الثمانينات لتزيد حدَّته في بداية التسعينات.

وأمَّا هاته الأوضاع التي أنهكت الشّعب الجزائري؛ إذ أصبح من الصَّعب على المواطن العادي توفير حتي أبسط الاحتياجات الضروريّة التي تمكِّنه من العيش بكرامة.

تولَّد غضب وحقد بين المواطنين اتجاه الدولة والّتي كانت في نظرهم هي المسؤولة عن الحالة التي آلت إليها البلاد فتوجّهوا إلى ممارسة العنف وحمل السلاح كوسيلة لاسترجاع حقوقهم مستخدمين في ذلك الدين كذريعة لتبرير وجرائمهم وبعد سنوات من الصراع الدموي ليتوقَّف كل هذا الكابوس سنة 1999" **لما تمَّ انتخاب رئيس جديد للجمهورية السيد "عبد العزيز بوتفليقة" والذي جاء بقانون الوئام المدني وتمَّ بموجبه العفو عن هؤلاء الإرهابيين بموافقة شعبية، وقامت الجبهة الإسلاميّة بنزع سلاحها بالكامل في 11 يناير2000 وبعد**

---

[1]– حاتم رشيد: الأزمة الجزائرية إلى أين، ص24.

[2]– سليمان الرياشي وآخرون: الأزمة الجزائرية الخلفيات السياسية والإجتماعية والإقتصادية والثقافية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1،بيروت، 1999م، ص227.

[3]– رضا عامر، كريبع نسيمة: رواية الأزمة المكتوبة باللغة الفرنسية وإشكالية الترجمة، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، المجلد2009، العدد1، صدرت عن جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، كلية الآداب واللغات، 31-03-2009، ص240.

ذلك قُتل عنتر زوابري زعيم الجماعة الإرهابية الإسلاميّة المسلّحة، مما أدى إلى تراجع ملحوظ لنشاط هذه الجماعة وانتهت عشر سنوات من الدَّمار والقتل وسفك الدماء عشرية حمراء وعشرية سوداء، سنوات لم يكن يُعبد فيها الله اختلفت كل معالم الإسلام، إرهاب إسلاموي زرع بذوره في أرض المليون ونص مليون شهيد"[1].

صحيح أنَّ الخطاب الديني المتطرف والجماعات المسلّحة ظهر إلى السطح في فترة التسعينيات ولكن جذوره ترجع إلى مرحلة الاستعمار؛ إذ أنَّ هذا التطرّف والإسلام السياسي لم ينشأ في مظاهرات 1988 فجأة بل مجموع التراكمات التي مرَّت بها البلاد من قبل هي التي دفعت به إلى الطَّفو على السّطح، فمخلفات المستعمر الذي كان يهدف بالدرجة الأولى إلى تجريد الجزائري من هويته والمتمثلة في الدّين واللّغة العربية، جعلت الشعب الجزائري في السنوات الأولى للاستقلال ينكب ويأخذ كل ما له علاقة بدينه جعله المنطلق لجميع شؤون الحياة، حتى وصلوا به إلى سياسة البلاد وكان لانقلاب بومدين على أحمد بن بلة والذي عُدَّ تدخل صريح من طرف العسكر في السلطة والذي رفضه الشعب؛ "**إذ عُدَّ الدور غير الاعتيادي للمؤسسة العسكرية للتدخل في الحياة السياسية أحد أهم الأسباب التي أوصلت الجزائر لتعيش في أزمة حقيقية، فحواها أنَّ الجيش هو الحاكم الفعلي للجزائر منذ الإنقلاب الذي قام به وزير الدفاع بومدين حتى قال أحد السَّاسَة الجزائريين أنَّ كل البلاد تملك جيوشاً والجيش الجزائري يملك بلادًا، وهكذا ساهم التدخل العسكري في الشؤون السياسية في أرباك النظام السياسي وشلَّ حركته؛ بحيث صار نمط العلاقة قائمًا على أنّ المؤسسة الرئاسية تستمد شرعيتها من المؤسسة العسكرية لذلك ساد اعتقاد لدى المواطن الجزائري، أنَّ المؤسسة العسكرية هي مصدر عدم الإستقرار في البلاد**"[2]، مما دفع بالمواطنين إلى الانسياق للأحزاب الإسلامية التي أوهمت الشعب بأكاذيب تدور حول تأسس

[1]– سليمان فرحات: العشرية السوداء...حكاية الجزائر مع الإرهاب الإسلاموي، مدونات عربية نفحات من وحي الحرية، 17أوت2015.

[2]– الطاهر سعود: الحركات الإسلامية في الجزائر الجدور التاريخية والفكرية، ص295.

خلافة إسلامية تخلصهم من كل المعاناة " **هو إنَّ مشكلة التصارع على السلطة والتي أدَّت إلى بروز احتقان وعداء على مستوى قيادات الثورة، برز الصراع إلى السطح وأصبح علنيًا ثم اتجه نحو الراديكالية والعنف في آخر المطاف**"[1] بين كتلة العسكريين ورجال الدين والجدير بالذكر أنَّ هذه الحرب الأهلية لم تؤثر على الجانب الإقتصادي والسياسي للبلاد بل تخطته إلى الجانب الثقافي، وامتدَّت إلى الساحة الأدبية؛ حيث " **عُدَّت كتابة الدين محورًا مركزيا وتيمة ملحة في الخطاب الروائي الجزائري المعاصر بفعل متغيرات الواقع التي فرضت على الكاتب الإستجابة لها وجاء تناول رواية الأزمة للخطاب الديني تناولا إشكاليًا**"[2] يبحث في أسباب هذا الصراع والتي جعلت فكرة التطرف تبسط أجنحتها على أرض الواقع لتصبح حقيقة يعيشها الشعب الجزائري، فالواقع المأساوي الذي كانت تعيشه البلاد في تلك السنوات انعكس على إنتاجات الأدباء ؛ إذ أخذو يصوروا في كتاباتهم آلام ومعاناة شعب لم يهنأ بسنوات الإستقلال بعد إستعمار مدمر ليدخل في حرب قذرة تعرض فيها لجميع أنواع التعذيب؛ " **إذ تحول النص الروائي الجزائري إلى نص يسرد الصراع الإيديولوجي الحاصل في المجتمع، لينزاح بذلك النص الروائي من اللغة إلى الأيديولوجيا لأنَّ الروائي أصبح يركز على الظروف الإجتماعية أكثر من تركيزه على اللغة فأصبح المضمون الإجتماعي مسيطر على النص الأدبي**"[3]، وقد" **تعدَّدت أشكال تناول المسألة الدينية في النص الروائي ممَّا يغني أبعاده الدلالية وتباين زوايا النظر وطرائق ملامستها النقدية لظاهرة إشكالية تبعث على المساءلة في مرحلة تاريخية أصبح فيها الخطاب الديني موضوع مجادلة** "[4].

---

[1]– سناء كاظم كاطع: المنطلقات الفكرية للحركة الإسلامية الجزائرية وجدلية الخلافة مع النظام السياسي، ص96.

[2]– سليمة خليل: الحداثة السردية في الرواية الجزائرية نقد المرجعيات في رواية الأزمة ، أطروحة دكتوراه في الآداب واللغة العربية، تخصص السرديات العربية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، كلية الآداب واللغات، 2016–2017، ص33.

[3]– شادية بن يحي: الرواية الجزائرية ومتغيرات الواقع، 4 ماي 2013.

[4]– بن جمعة بوشوشة: إتجاهات الرواية في المغرب العربي، الدار المغاربية للطباعة والنشر، ط1، 1999، ص631.

سميت جل الإنتاجات التي صدرت في تلك الفترة وحتى بعدها والتي كان موضوعها يدور حول تلك العشرية الحمراء برواية الأزمة تبعًا للأحداث التي كانت تحدث في تلك المرحلة وانعكست على النص الرّوائي، " **وهكذا وبصفة عامة ارتبطت محنة الوطن ارتباطًا لا تنفصم عراه عن فعل العنف والتطرف الذي أورث على مستوى الخطاب عنفًا وتطرفًا سرديًا وإيديولوجيا، عُرف بسردية العنف وهي نمط إتخد من الفتنة الجزائرية سؤالاً مركزيا لمتنه الحكائي تتوالد منه تيمات، الموت، الإرهاب، العنف، المنفى، وهي تيمات جديدة في الرواية الجزائرية وسُميت هذه الأخيرة بمناخات الفاجعة والمأساة** "[1].

كتب النص الروائي الجزائري تيمات جديدة في تلك الفترة، ويجدر بنا الإشارة إلى أنَّ "**النص الروائي وقتها لم يكن يتحدث عن الدين نفسه، وإنَّما عن أولئك الفاعلين الذين أحدثو إزاحة في معنى الدين في الزمن الراهن بفعل أدلجته والذهاب به إلى مذاهب تضليلية تحريرية لا تمد بصلة إلى الدين الحق** "[2]، ليتحول الخطاب الديني في تلك الفترة إلى برنامجًا سياسيًا يطرح نفسه بديلاً عن السلطة، بانسياقه إلى تبرير العنف ضدَّ المخالف وتمَّ تحريف الدين بأبشع الطرق للوصول إلى كرسي الحكم فلم يبقى الدين محافظًا على معناه الحقيقي والذي يبين لنا علاقة العبد بربه بل استُخدم لغايات ومصالح سياسية محضة نفعية حيث " **استحال التأويل الديني السلطوي قناعًا أيديولوجيًا لمقولات إقتصادية أو صراع سياسي إجتماعي عقائدي يدور فوق أرضية دينية**"[3].

ليتحول الخطاب الديني إلى ورقة رابحة في أيدي الجماعات والأحزاب الإسلامية يستعملونها لقضاء مصالحهم السياسية أصبح الخطاب الإسلامي يتجاهل مبادئ الإسلام الحقيقية، " **وحرمة دماء المسلمين وأعراضهم وراكبا موجة من الجهل بالقواعد الشرعية، أصبح**

---

[1]– سليمة خليل: الحداثة السردية في الرواية الجزائرية نقد المرجعيات في رواية الأزمة، ص16–17.

[2]– نفسه ، ص33، بتصرف.

[3]– مايكل أنجلوكوبوتشي: أعداد الحوار أسباب اللاتسامح ومظاهره، مكتبة الأسرة، القاهرة، مصر، 2010، ص60.

التفكير موضة هذا الخطاب الشاذ، وغير الواعي بل وغير الشرعي الذي ميزه العنف والغلو، وبطاعة العلم المزجاة، فصار خطاب فتنة بجميع المقاييس "[1].

تحول إلى خطاب ديني متطرف أدخل البلاد في حرب دموية راح ضحيتها أكثر من 200 ألف قتيل، نضيف حالات الإغتصاب والمرضى المتضررين نفسيًّا فالجماعات المتطرفة استعملت الدين كسلاح باعتباره الحلقة الأقوى في المجتمع الجزائري.

ومنه يمكن تلخيص مفهوم الخطاب من خلال ما سبق من التعريفات اللسانية وغيرها عند الغربيين، بأنه بناء فكري تمت صياغته بغرض التأثير والإقناع يجري بين مرسل ومتلقي وفق عملية إتصالية مباشرة.

تعدَّدت أنواع الخطاب واحتلَّ الخطاب الديني المكانة الأوسع بينهم فحاز على اهتمام الأدباء العرب عامة والجزائريين خاصة نظراً للدور الذي لعبه في مرور الجزائر بفترة غرق فيها كل أنواع التعذيب والقتل والعنف بجميع أنواعه جسدي ونفسي وهذا كان نتيجة الفهم الخاطئ للدين وخلطه بأمور السياسة الأمر الذي أدى إلى ظهور ما يسمى بالخطاب الديني المتطرِّف في الجزائر وهذا الأخير كان السَّبب الأول والرئيسي الذي أدخل البلاد في صراع دموي خلَّف آلاف الضحايا.

[1]– عمرزقاي: التطور التاريخي ونشأة الخطاب في الجزائر، ص163.

الفصل الثانـي

تمظهرات الخطاب الديني في رواية " القلاع المتآكلة"

أولا: أدلجة الدين في الرواية.

ثانيا: تمظهرات الخطاب الديني من خلال الشخصيات.

ثالثا: تمظهرات الخطاب الديني من خلال المعجم اللغوي.

رابعا: تمظهرات الخطاب الديني من خلال الفضاء المكاني.

خامسا: تمظهرات الخطاب الديني من خلال الفضاء الزماني.

طرحت الرواية التسعينية القضية الأساسية أو المشروع الرئيسي الذي تهدف إلى تحقيقه الجماعات الإسلامية، وهو قيام الدولة الإسلامية، سواء قبل إلغاء مسار الانتخابات وحل حزب الجبهة الإسلامية للإنقاذ أو بعدها أين بدأت أهداف الحركة الإسلامية تحيد عن طريقها، ولجأت إلى ممارسة العنف كرد فعل ونتيجة حتمية فرضها تسلط الدولة وعدم احترام حرية التعبير، فاختلطت أهدافهم بدواعي الثَّأر والإنتقام من السلطة فتحولت القضية من صراع الأيديولوجيات إلى صراع دموي.

أولا: أدلجة الدين في رواية القلاع المتآكلة:

من الصعب تحديد العلاقة التي تجمع بين الدّين والسياسية " **حيث اتّخدت العلاقة بين الديني والسياسي صيغًا مختلفة وفي كثير من الأحيان متناقضة** "[1] ونجد الكثير يدعون إلى الفصل بينهما بحيث لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين، بحكم أنَّ السياسة للوصول إلى مصالحها تدنِّسُ قداسة الدين وتتجاوز حدوده وتخرج عن تعاليمه وتشوه صورة الدين الكامل الخالي من أي نقص، ولكن لفترة زمنية ارتبط مفهوم الدين بالسياسة أو مايعرف بأدلجة الدين وتسييسه من أجل قضاء مصالح سياسية، تماما كما حدث في الجزائر فترة العشرية السوداء ولعل هذا الإستغلال البراغماتي الأيديولجي للدين هو الذي دفع بالجزائر إلى الوقوع في مستنقع الدم، حيث تحول الخطاب الديني إلى وسيلة في أيدي التيارات الإسلاموية للوصول إلى السلطة واتَّخدت هذه الجماعات المتطرفة آنذاك من المساجد منبرًا لها لغسل عقول الشباب مستشهدين بآيات ونصوص من القرآن لتدعيم خطابهم الديني المتطرف وفتاويهم، " **ولئن كانت العشرية السوداء فترة وانتهت، فإن الآثار الأدبية ولاسيما الروائية التي حاكت هذه الفترة، قد خلَّدت الظاهرة إلى الأبد** "[2]؛ بحيث لا يكاد نص روائي

[1]– سعد الدين العثماني: الدين والسياسة تمييز لا فصل، دار الكلمة للنشر والتوزيع، ط2،مصر، 2013، ص75.

[2]– مليكة صياد: المحظور الديني في الرواية الجزائرية المعاصرة، أمين الزاوي وآسيا جبار أنموذجا، أطروحة تدخل ضمن شهادة الدكتوراه، تخصص النقد الجزائري المعاصر، جامعة زيان عاشور بالجلفة، 2018– 2019، ص158.

صدر في تلك الفترة يخلو من هذه التيمة؛ إذ نجد جل الأدباء الجزائريين اتجهوا إلى الكتابة عن هذا الموضوع والحفر في الأسباب التي أودت بالجزائر للوقوع في هذا المستنقع، ولعل من بينهم محمد ساري في رواية القلاع المتآكلة حيث نلحظ من خلال مجريات أحداث الرواية عدَّة قضايا سلِّط عليها الضوء وتشمل أدلجة للدين نذكر من بينها:

1- التّكفير

هو الحكم على الآخر المختلف بالكفر والخروج عن الملّة وتعاليم الدِّين الإسلامية ويعرِّفه السَّبكي " **بأنه حكم شرعي سببه جحد الربوبية أو الوحدانية أو الرسالة أو قول أو فعل حَكَمَ الشارع بأنَّه كَفُر** "[1]، والتّكفير ليس ظاهرة جديدة بل تعود جذورها إلى العصر الإسلامي " **فالحقيقة أنَّ مسألة التكفير هي فتنة قديمة تبنَّتها فرقة من الفرق الإسلامية القديمة وهي المعروفة بالخوارج** "[2] وقد انتشرت هذه الظاهرة في الدول العربية لتصل إلى الجزائر في فترة العشرية السوداء، ولكنها لم تبق بالمفهوم الذي جاءت به في القرآن الكريم فبعد أن كان التكفير هو مخالفة شرع الله أصبح في عُرف الجماعات الإسلامية المتطرفة مخالفة لآراءهم ووجهات نظرهم؛ إذ كانت تتَّهم كل معارض لها بأنّه مرتد وخارج عن طاعة الله ونلمح هذا في الرواية من خلال شخصية " **نبيل** " الذي كان يتَّهم أبوه " **رشيد بن غوسة** " بالكفر والجهل لمجرد أنّه كان له رأي آخر فيما يحدث في البلاد وحول الجماعات الإسلامية التي عمَّت جميع أنحاء الوطن أنذاك، يقول نبيل " **أبي أيضًا بدأت أكرهه لماذا لا يصلي ويصوم مثل جميع المسلمين ألا يخاف عذاب القبر ومن نار جهنَّم** "[3] وفي سياق آخر يقول " **أنت كافر ولا يحق لي**

---

[1]- أبي الحسين تقي الدين السّبكي: فتاوى أبي الحسن تقي الدين السّبكي، ج2، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص586.

[2]- محمد ناصر الدين الألباني: فتنة التكفير، دار الوطن للنشر، ط1، الرياض، 1417هـ، ص12.

[3]- محمد ساري: القلاع المتآكلة،منشورات البرزخ، الجزائر، 2013، ص134.

طاعتك "[1] ويقول " **لم أتمالك نفسي وصرخت في وجهه أنَّه كافر وأنَّ الله سيرميه في جهنَّم "**[2]

فنبيل كان يرى والده ذلك الشيوعي الكافر الملحد ومكانه جهنَّم، أراد الراوي الكشف عن جانب آخر وهي أنَّ الجماعات لا تكتفي بتكفير السلطة فقط إنّما كل حزب أو شخص يخالفها الرّأي تتهمه بالكفر وتنفي عنه الإسلام سواء كان قريب أم بعيد وحتى وإن كان والده كما هو الحال مع نبيل التي أوصلته الأفكار التي قام صديقه " **ياسين** " بزرعها في ذهنه إلى التفكير في قتل والده ظنًّا منه أنَّه سيخلص العالم من طاغيته وكفره.

" **ياسين يقول اقتله، إنّه كافر وزنديق... اقتله تتقرَّب به إلى الله وتضمن مكانًا في الجنة "**[3] فكل من يعارضهم ويخالفهم مصيره الموت، تلبَّسوا صفة الألوهية وأخذوا على عاتقهم مهمَّة تصنيف الناس بين كافر ومؤمن وحتى مسألة العقاب والحساب صارت مهنتهم يقتلون كل من خالفهم ويدخلون الجنّة من أيَّدهم وسار على دربهم، ومن هنا فتوى التكفير كانت تعدُّ من بين أهم القضايا التي كانت الجماعات المتطرّفة تلجأ إليها لغسل أدمغة الشباب الجزائري وأدلجة الدين في أحسن صورة.

2- الجهاد

تعد قضية الجهاد من أهم القضايا التي ركَّزت عليها الرواية باعتبارها أساس الجماعات الإسلامية المتطرفة، وتمَّ استغلالها بأبشع الطرق في إزهاق أرواح بريئة وقد برزت في الرواية من خلال آراء الشخصيات المتطرفة " **نحن جنود الله الجدد لنا غزواتنا التي لا تقل أهمية عن غزوات بدر وأحد وغيرهما من غزوات المسلمين الأوائل. سنتقرَّب إلى الله**

[1]- المصدر نفسه: ص138.

[2]- المصدر نفسه: ص141.

[3]- محمد ساري: القلاع المتآكلة، ص224.

برؤوس أخرى من الكفار والطغاة "[1]، حاول الراوي من خلال شخصية ياسين وآرائه أن يبيِّن لنا توجّه هؤلاء المتطرفين وطريقة تفكيرهم وكيف يجعلون من الدين في كل مرّة ذريعة لتبرير جرائمهم الشنيعة فالتَّقرب من الله في اعتقادهم لا يكون إلاَّ بالإعتداء على الآخر (السلطة السياسية) التي تمثّل الطاغوت في نظرهم " **والهدف الرئيسي لدى جزء كبير من المنتسبين إلى الحركة الإسلامية هو إقامة الدولة الإسلامية، وأنّها في السبيل الوحيد لاستعادة الإسلام وتحكيم قيمه وقوانينه من جديد في مجتمعات خرج الجميع فيه عن الإسلام وهذا لا يكون إلاَّ ببداية الجهاد (القتال)** " [2] وهذا تماما ما كانت تسعى إليه هذه الجماعات والتي استعملت فتوى الجهاد لتسهيل عملية الوصول إلى مبتغاها.

" **إنَّه فعلاً كمين نصبه الإرهابيون عند المدخل الجنوبي** " [3] في هذا المقطع تحدث مفوِّض الشرطة " سي أحمد " عن العملية الإرهابية التي نفذتها الجماعات المسلحة ضد الشرطة والتي هي في نظرها جهاد في سبيل الله.

" **من يقتل من ؟ من يصدق من ؟ من يتّهم من ؟** "[4] طرح السارد لهذه التّساؤلات ليس عبثًا بل كان له هدفًا من ورائها وهي التساؤل حول أساس الأزمة فهي أسئلة أيديولوجية أراد بواسطتها الوصول إلى الأسباب الحقيقية لهذه الأزمة، كما أراد أن يوضّح لنا الجماعات الإسلاموية لا يقع عليها كامل الحق في المجازر التي تحدث داخل البلاد وإنَّما السلطة العسكرية أيضا مسؤولة بالدّرجة نفسها على الجرائم التي كانت ترتكب في حق المواطنين، يقول " **جثث عارية في وضعيات مخزية مجردة من ملابسها الرسمية ومن أسلحتها سرقها أولاد الحرام للتمويه بها في الحواجر المزيفة والمداهمات الليلية، أغلبهم مذبوحون**

---

[1]– المصدر السابق، ص227.

[2]– محمود محمد أحمد: تطوّر مفهوم الجهاد دراسة في الفكر الإسلامي المعاصر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1، بيروت، 2015، ص155 – 157، بتصرف.

[3]– محمد ساري: القلاع المتآكلة، ص35.

[4]– المصدر نفسه، ص24.

ومطعونون بوحشية تدمي القلب... تكاد الرؤوس تنفصل عن الأجساد " [1] يكشف الراوي هنا على لسان شخصية **سي أحمد** عن مدى وحشية هؤلاء الأشخاص الذين يدّعون الجهاد في سبيل الله وأنّ هدفهم سامي وهو إقامة خلافة إسلامية تخلِّص النّاس من مشاكلهم، أيّ خلافة هذه التي تقوم على أنقاض الجثث ؟ ومتى كان الإسلام يدعو إلى القتل ؟ ليس ديننا دين مودَّة ورحمة، وممَّأ لا شكَّ فيه أنَّ النَّبي صلى الله عليه أُرسل بالرَّحمة لقوله تعالى:

{ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلاَّ مَودَّةَ وَرَحْمَةً للِعَالَمِينَ } سورة الأنبياء الآية107 ، فأيِّ ملَّة يتَّبعون هؤلاء القتلة والتي أباحت لهم القتل والعنف وحمل السَّلاح باسم الجهاد.

" **سنقضي على جميع أعداء الدين** " [2]

يأخذون الفهم السَّطحي للآيات القرآنية ويؤولونها تأويلاً خاطئًا بما يخدم مصالحهم السياسية، فالآخر في نظرهم هو عدوّ للدِّين لمجرّد أنّه يخالف معتقداتهم، وحسبهم الجهاد هو " **سلام الدّين ورهبانية الإسلام** "[3] وبأنّهم مكلّفين بهذه المهمّة في الأرض بعد الرسول صلّى الله عليه وسلّم والخلفاء الراشدين، ويرون أنفسهم ذات صفة رسولية.

3- صراع الهويات

وهو الصراع بين السلطة العسكرية والأحزاب الإسلامية والإتجاه الشيوعي، ويظهر داخل الرواية من خلال الصراع الطائفي بين السلطة التي تمثَّلت في الشخصيات الثلاث: **ياسين، عبد الجبار، عبد الحميد ونبيل،** والإتجاه الشيوعي بشخصية **رشيد بن غوسة،** يتبنّى كل اتِّجاه مبادئ خاصة به مخالفة للآخر ويعمل على فرضها على الآخر وفي هذا الصدد يقول أحد المتطرفين لعبد القادر " **دعوناك لنعرّفك على الحقيقة، الحقيقة كما يحبها**

---

[1]- المصدر نفسه، ص24.

[2]- محمد ساري: القلاع المتآكلة: ص140.

[3]- محمد الرحموني: الدّين والأيديولوجيا جدلية الديني والسياسي في الإسلامي والماركسية، دار الطليعة للطباعة و النشر،2005، ص5.

الله ورسوله الكريم صلّى الله عليه وسلّم، وليس كما يزيفها ويلفقها الطغاة، من أهل الشرطة والجيش، الذين ستحرقهم نار جهنَّم والعياذ بالله، نحن دعاة خير ولا نحبّ العنف، ولكنَّ السلطة الطاغية هي التي أجبرتنا على استخدامه ورفع السلاح في وجهها وهذا دفاع شرعي عن النفس، والبادئ أظلم, "[1] الحقد الذي تحمله اتجاه السلطة ظنًّا منهم أنّهم هم على صواب وهم أصحاب الجنَّة على عكس السلطة التي مصيرها جهنّم كما أنّه أشار إلى أنَّ هذه الجماعات لجأت إلى العنف وحملت السّلاح لتفرض على السّلطة الإمتثال لأمرها كونها تملك الحجَّة الأقوى وهو الدّين ومرجعها الكتاب والسنَّة كما يزعمون، ويظهر صراع آخر في الرواية بين الجماعة الإسلامية والإتجاه الشيوعي والممثَّل في " رشيد بن غوسة " وابنه " نبيل " ويعدّ هذا الصراع صلب الرواية؛ إذ كان رشيد ضدّ ابنه وتوجهه الإسلامي المتطرف وحاول إقناعه بعدم الانسياق وراء هذه الجماعات المتطرِّفة وأنّ الدّين الذي يروجون له ليس الدّين الحق الذي نزل به القرآن يقول " **الصراع صراع مصالح إقتصادية، وليس صراع قناعات وإيمان، اتهمني بالكفر والزندقة اتَّهمته وجماعته بالظلامية والتخلّف والجمود الفكري** " [2] كان يحاول رشيد في كل مرَّة إقناع ابنه بأنَّ هذه الجماعات تضلل الناس بأفكارها للوصول إلى مصالحها وغاياتها، وهذا الصراع لا يقتصر على الأب وابنه وإنَّما ممثَّل أيضًا في عبد الجبار وأمه والتي حاولت هي الأخرى أن تشرح له الدّين بمفهومه الحقيقي والسليم وأنّ ما يؤمن به هو ويسعى إلى الدفاع عنه لا يمدّ بصلة إلى الدّين الحق وإنّما مجرّد أفكار متطرفة ابتدعتها الجماعات الإسلامية التي تدّعي التّدين " **لم أفهم ماهو الإسلام الذي يريده أصحاب بولحية، نحن مسلمون منذ ولدنا، لا أحد منعنا من الصّلاة، ولا من الصوم، ولا من الحج، بل أنا ممنونة للدّولة التي منحت لنا، زوجي وأنا، حجَّة مجّانية، فلولاها لما تمكنّا أبدًا من زيارة البقاع المقدّسة، والتّبرك بمقام**

[1]– محمد ساري: القلاع المتآكلة، ص112.

[2]– محمد ساري: القلاع المتآكلة، ص12.

نبيّنا محمد صلّى الله عليه وسلّم، كم مرَّة ردَّدت هذا الكلام على ابني عبد الجبّار " [1] وممثّل أيضًا في "يوسف عياشي "ووالدته التي كانت دائمًا تنصحه بتسليم نفسه وعدم اتباع هذه الجماعات الضالة والتي ستؤدّي بحياته حتمًا وبالفعل راح يوسف عياشي ضحيّة لاعتقادات خاطئة سلبته حياته " **أطلب من الله أن يأتي بالشرطة في هذه اللّحظة كي تقبض عليك فالسجن أرحم من الموت** "[2] ولكنّ بؤرة الصراع الرّئيسية في الرواية كانت متمثلة في رشيد بن غوسة وابنه نبيل " **ليتعمّق هذا الصراع ويتحوّل إلى صراع داخلي بين نبيل وذاته ومشاعره اتجاه أبيه وأسرته من جهة** "[3]، ويصوِّر لنا نبيل مشهد هذا الصراع قائلاً " **شيئًا فشيئًا أضحت العملية تخيفني وترعد جسدي بمجرَّد التفكير فيها، يصرخ صوت بداخلي مويخًا، أنت مجنون يا نبيل كيف تسمع لكلام أولئك المعتوهين وتقتل أباك ؟ أيقتل الأولاد آباءهم ؟ الأولاد يقدّسون آباءهم ويقتدون بهم ويفتخرون بهم، يردّ عليه صوت آخر مدويًا إنّه كافر مرتد وجزاؤه القتل وخطوتي عند الله ستكون عظيمة، عقلي يأمرني بأن أفعل ولكنَّ قلبي يرفض وجسدي أقتله... لا أقتله، أقتله... لا أقتله....** "[4]، لينهي صراعه مع ذاته بانتحاره ليكون خلاصة في هذا العذاب وليكون هو الآخر ضحية لأفكار متطرفة زرعها في عقله صديقه ياسين لتتدفّق في روحه كالسمّ ورسمت نهايته.

4- اللباس

رسمت الشخصية المتطرفة لنفسها هوية خلافية تميّزها عن الآخر والتي تنطلق من اللحية والقميص، ونلمح ذلك في لباس " نبيل " وباقي رفقائه من الجماعات الإسلامية " **هذا الذي أمامي لا يختلف عن الصّورة العامَّة لمناضلي الحركات الإسلامية المتطرّفة: لحية**

---

[1]- محمد ساري، ص189.

[2]- المصدر نفسه: ص154.

[3]- صليحة شتيح: صراع الهويات والذوات في رواية القلاع المتآكلة لمحمد ساري، المجلات الأدبية والثقافية العربية، العدد99، 1 مارس 2017، ص486.

[4]- محمد ساري: القلاع المتآكلة، ص228.

كثّة تغطّي معظم الوجه، حليق الرَّأس وقميص طويل من النَّوع الأفغاني، وفوقه سترة من الجلد الأسود، وفي القدمين حذاء رياضي أسود اللون"[1]؛ إذ يؤسِّس من خلال هذا اللباس لشخصية دينية لها هوية مخالفة لهوية الآخر والذي يرتدي لباس فاسق ومخل بالحياء، والهدف من خلق هذه الهويّة المظهرية هو إخفاء الصورة الحقيقية للذات المتطرِّفة؛ إذ قاموا بحصر الدِّين في الجانب الشكلي الخارجي مع غياب الجوهر،لا يأخدون من الدّين سوى السطحي وإنَّ ما نلحظه على الملامح التي رسمها الراوي للشخصية المتطرفة أنّها تختزل الدين في المظهر الخارجي، حتى " **إنَّ اللحية والكحل باتت بالنسبة للآخر علامات دالة تحددها شخصية الإرهابي أو المتطرّف المختلف في عقيدته عن غيره** "[2] إذ يقوم مناصري هذه الحركات الإسلامية بالتّخفي خلف هذا الزي وأسامي دينية "**كجبار، عبد الحميد، ياسين**" ورفع شعارات إسلامية ليسهل عليهم خداع الفئة المتأثرة بهم وإقناعهم بفتاويهم ومن بين هذه الشعارات التي ورد ذكرها في الرواية " **عليها نحيا وعليها نموت: الشريعة الشريعة... لا دستور لا ميثاق: القرآن ، القرآن...** " [3] ولا ننسى الوصف الفيزيولوجي لهذه الشخصية المتطرّفة والتي تحمل بداخلها غريزة القتل ودائمًا على استعداد تام لسفك الدماء، نلمح ذلك في الرواية من خلال " **سنقضي على جميع أعداء الدين** "[4] " **الخلافة ستقطع رؤوس جميع الكفار والنساء** "[5] " **سنتقرب إلى الله برؤوس أخرى من الكفرة والطغاة** "[6] ، كل هذه المقاطع أراد الكاتب من خلالها أن يوصل للقارئ عن الرغبة الشديدة التي يحملها هؤلاء الأشخاص داخلهم بالقتل، وعن تعطُّشهم لإراقة الدماء، كما لا يقبلون لغة الحوار ورافضين لأية فكرة مخالفة تهدّد كيانهم، وحسبهم أنّ أيّ تقارب أو تطابق مع الآخر هو ضياع

---

[1]– المصدر نفسه: ص10.

[2]– إليكسفكشيلي: الهوية، ترجمة علي وطفة، دار الوسيم للخدمات الطباعية، ط1، دمشق، سوريا، ص82.

[3]– محمد ساري: القلاع المتآكلة، ص140.

[4]– المصدر نفسه: ص140.

[5]– المصدر نفسه: ص141.

[6]– المصدر نفسه: ص227.

لهويتهم، " **بحيث لا يمكن للمحاكاة أو للتقارب بين الذات والآخر أن يكونا مطابقين وعندما يحدث ذلك فإنّه يعني فقدانا للهوية، لصالح هوية أخرى** " [1]

5-المرأة

بالرّغم من أنّ الرواية تتحدّث في الأسباب التي أدّت بالجزائر للدخول في هذه الحرب القذرة إلاّ أنّ الكاتب أشار إلى موضوع المرأة في الرواية في مقارنة لوضعها في الإسلام مع وضعها في المنظومات التشريعية ففي حين أعلى الإسلام من مكانتها نجد الجماعات الإسلاموية في هذه الرواية لا وبل في سائر روايات الأزمة تقلل من شأنها؛ إذ نجد الكتّاب يسلطون الضوء على النَّظرة الدونية لهذه الجماعات اتجاه المرأة، فالسارد في الرواية يصور الخطاب الديني الأيديولوجي الراديكالي فيما يخص المرأة، ونلمح هذا في قول السارد على لسان شخصية جبار " **هذا الكلام كبير على المرأة التي خلقها الله لتطيع زوجها وتعتني بشؤون البيت وتربية أولادها أمَّا مسائل الدين فهي للرجال** "[2] وهذا تقليل من قيمة المرأة التي هي أساس المجتمع، و نجد أيضا الهيمنة الذكورية في خطاب الشخصيات المتطرّفة؛ إذ جعلت المجتمع الذكوري بالدّرجة الاولى " **النظام الإجتماعي يشتغل باعتباره آلة رمزية هائلة تصُبّو إلى المصادقة على الهيمنة الذكورية التي يتأسس عليها، وهذا النظام نفسه هو الذي يبني الإختلاف بين الجنسين وفق مبادئ رؤية أسطورية للعالم متجذّرة في العلاقة الإعتباطية لهيمنة الرجال على النساء** "[3] وهذا ماكشفت عنه الرواية حيث تعمل البنى الثقافية للمجتمع على إضعاف مكانة المرأة، واستغلوها للضغط على المجتمع باعتبارها الحلقة الأضعف فكل خطاب لهذه الجماعات الأصولية معادي للمرأة ما هو إلاَّ خطاب مغلّف بالدين يتلبس لُبوس الإسلام.

---

[1]- إليكسفكشيلي: الهوية، ص72.

[2]- محمد ساري: القلاع المتآكلة، ص189.

[3]- بياربورديو: الهيمنة الذكورية، ترجمة: سلمان قعفراني، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت، أفريل 2009، ص27-28.

هذا ولا ننسى الألفاظ البذيئة التي يصفونها بها؛ إذ جعلوا منها مجرد وسيلة لإشباع شهوة الرجل ويظهر ذلك في الرواية في قول نبيل " **منذ تلك الليلة تغيّرت نظرتي للمرأة أصبحت عيوني تخترق الثياب وتتخيَّل الملامح الجسدية** "[1]، ويضعون الحق على تفكير الرجل في المرأة بهذه الطريقة إلى تحررها الزائد ممّا يجعلها سبب الغواية وتحريك الجانب الجنسي في الرجل، ولهذا جاء في السرد ذكر لفرض الحجاب على المرأة ومنع خروجها وممثّل ذلك في قول نبيل: " **عليَّ إقناع أختي بلباس الحجاب وعدم الذهاب إلى البحر** "[2] وفي قوله أيضا " **أختي فريدة لا يعاتبها على شيء، تخرج، تدخل، تتغيب، تسافر، تذهب إلى البحر هي حرّة كالرّجل** "[3] وكأنّ الحرّية في معتقدهم حكرًا على الرجل، وقد قامت الجماعات الإسلامية عمدًا بذكر موضوع المرأة في خطابهم الديني المتطرّف لاتّهام الآخر بأنّه ضياع لقيم المجتمع، ونجد أغلب خطاباتهم فيها نكران لكيان ووجود المرأة وأنّ دورها لا يخرج عن نطاق البيت وتربية الأولاد وإرضاء الزوج وطاعته، وكأنّ المرأة خُلقت فقط لخدمة الرجل وهذا بالذات معارض ومخالف لما جاء به الدين الحق الّذي عزّزها وأعلى من مكانتها ففي شبابها جعلها مفتاح الجنة لوالدها وبزواجها تكون سكنًا لزوجها لقوله تعالى " **ومن آياته أنْ خلق لكم من أنفسكم أزواجًا لتسكنو إليها** " **سورة الروم الآية:21**

وبأمومتها جعل الجنة تحت أقدامها وبذلك فكل سرد أو خطاب يحاول التقليل من شأنها فهو مجرد خطاب راديكالي براغماتي لا يمت بصلة إلى الدين الحق الهدف منه إضعاف

[1]– محمد ساري: القلاع المتآكلة، ص144.

[2]– المصدر نفسه: ص141.

[3]– المصدر نفسه: ص162.

الآخر.

ثانيا: تمظهرات الخطاب الديني من خلال الشخصيات في رواية القلاع المتآكلة:

تُعدّ الشخصية مكونا أساسيا في أي عمل روائي " **فهي مفهوم كلاسيكي يشمل مجموعة من الأطراف الفاعلة في النص السردي مثل: الممثل ، الفعل ، العامل و العامل المساعد** "[1]، ولهذا تختلف الشخصيات من رواية إلى أخرى وتختلف سماتها وخصائصها وحتى دورها في العمل الروائي. وفي هذا يقول "عبد المالك مرتاض":"**لا يمكن أن نتصور رواية دون طغيان شخصية مثيرة يقحمها الروائي فيها إذ لا يضطرم الصراع إلا بوجود شخصية أو شخصيات تتصارع فيما بينهما داخل العمل السري**"[2]

وعلى هذا يتبين دور الشخصية في الرواية جدّ فعال وضروري في العمل الأدبي ، وإنّ تزايد الشخصيات في الرواية يؤدي إلى وجود صراع كبير بينهما داخل العمل الروائي مع مستوى الأحداث وعلى مستوى الأفكار والأيديولوجيات.

" **إنّ الشخصيات باختلافها هي التي تولد الأحداث وهذه الأحداث تنتج من حلول العلاقات التي بين الشخصيات فالفعل هو ما يمارسه أشخاص إقامة علاقات فيما بينهم ينسجونها و تنمو بهم، فتتشابك وتنعقد وفق منطق خاص به**"[3]

نجد السارد في رواية " **القلاع المتآكلة** " قد اختار شخصيات ذات حضور قوي؛ حيث نجد أن كل شخصياتها مهمة وذات بروز واضح فهو لجأ إلى ذكرها في كل صفحات روايته وهذا ما يدل على أن الشخصية تحتل مكانة هامة في الرواية.

---

[1] _ بوعلي كحال، معجم مصطلحات السرد، عالم الكتب للنشر و التوزيع، الجزائر، ط1، 2002، ص8

[2] _ عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية ، بحث في تقنية السرد، المجلس الوطني الثقافي و الفنون،1998م، ص 76.

[3] _يمنى سعيد، تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، دار الفرابي، بيروت، لبنان، ط1، 1990، ص42

يمكن تصنيف شخصيات الرواية من خلال إعطاء لمحة وجيزة عن كل شخصية وكذلك معرفة كيفية تمظهر الخطاب الدّيني على هذه الشخصية من خلال مواقفها ومظهرها سواء كانت الرئيسة أم الثانوية التي بدورها كانت سببا في بروز الشخصيات الرئيسة وظهورها على مسرح الأحداث في الرواية.

أ_ الشخصيات الرئيسة

- **المحامي عبد القادر**

هو شخصية رئيسة داخل الرواية، كان له حضورًا قويًا ودورًا كبيرًا داخل الرواية، وفي وصف أشخاصها، وأماكنها، وأحداثها، وقد اختار "عبد القاد"ر مهمة المحاماة بعد أن كان مديرًا في متوسطة ابن باديس نستشف هذا من خلال قوله المقطع السردي الآتي:

"**أنا أيضا لم أبق دلك المعلم الساذج، مدرس التاريخ، الذي لا يرى في الناس إلا مظاهرهم المتوددة المنافقة. جرفتني الموجة الراجفة الزاحفة، فاستبدلت مهنة التعليم النبيلة الهادئة بمهنة المحاماة المتشبطة المضطربة**"[1]

وقد كان سبب تغيير مهنته حادثة وقعت له مع تلميذ سابق في صفه. ممادفعه للبحث عن حلول لتحسين ظروف معيشته.

يقول هامسًا: " **صاح صوت بداخلي : لماذا لا تجرب ممارسة التجارة ؟ التجار كلهم أغنياء أجابه صوت آخر بأسئلة نافية وهل أنت أهل لها؟ كيف ستنتقل من مهنة أستاذ إلى مهنة بائع خضر أو خردوات؟ هذا لا يليق بمقامك ويحط على شرف المعلم الذي كاد أن يكون رسولا .....**"[2]

[1] _ محمد ساري: القلاع المتآكلة، ص18

[2] _ المصدر نفسه ص 20.

لكن رغم ما يعيشه "عبد القادر" الآن من حياة الرفاهية إلا أن الواقع و أحواله النفسية تعبر عن خلاف ذلك من حيث أن علاقته بماضيه لا تزال تبسط سيطرتها على تفكيره كلّما تذكر أيامه الصعبة " **من يراني أتبختر في بذلتي الأنيقة وربطة عنقي الجذابة وحذائي اللامع دوما ..... إن ما بداخل هده البذلة من أسرار موجعة وذكريات أليمة لا تمحوها رفاهية سلاطين ألف ليلة وليلة**"[1]

- **رشيد**

يعتبر شخصية علمانية ليبرالية لأقصى درجة كان يشتغل مدير مدرسة تولدت لديه ردة فعل عنيفة ضد الدين بسبب والده، الذي كان يجبره على تأدية صلواته في وقتها قصرا " **أبي هو الذي كرهني بالدين عشت و الصلاة كسخرية يومية أنتظرها كعقاب مقيت** " [2]

لقد كان ملحدًا لا يؤمن بأية ديانة كافرًا بدين المسلمين لا يصوم ولا يصلي يرى أن الصلاة والدعاء والتضرع الى الله ، عادات وثنية ابتكرها الانسان في مرحلة ضعفه وجهله " **لو كان الله حقا موجودا لرق قلبه لحال البشرية و لأنقذ المؤمنين وأغلبهم من المسلمين، من الفقر و الظلم، تحولت أوروبا الى جنة بفضل عمل الانسان وليس بفضل إستجابة الله لدعائهم، لأنهم لفظوا الدين جانبا منذ عصر الأنوار** " [3]

فهذا الإكراه ولّد لديه تمرّدًا غير مبرر؛حيث نمت لديه أفكار ومواقف مضادة لهذه الشعيرة الدينية (الصلاة) حتى أنه أصبح يرى أن الصلاة عقاب أكثر منها راحة وفريضة، فبدل أن يحبها ويلتزم بها تركها في أول فرصة سنحت له " **الدراسة هي التي أنقذتني ....من حسن حظي أن قريتنا لم تكن تتوفر على ثانوية فسجلني بالقسم الداخلي بالبليدة، مع قسوة**

---

[1] _ محمد ساري: القلاع المتآكلة، ص 50.

[2] – المصدر نفسه، ص 63.

[3] – المصدر نفسه، ص 89.

النظام الداخلي كنت سعيدا سعادة لا توصف لأنني تخلصت من آداء الصلوات الخمسة المفروضة علي في البيت العائلي" [1]

ولم تهتم الرواية برسم الملامح الفيزيولوجية أو صفات هذه الشخصية بقدر ما قدم لنا أفكارها وتوجهاتها رغبة منه في تجسيد صورة الإنسان المثقف المتحرر من كل ما هو مألوف يقول:

" **إكتشفت المكتبة ومعها الكنز الذي لا يفنى. بالصدفة وقعت على جملة في كتاب لألبير كامو يقول بأن نيتشه الفيلسوف الألماني لم يقتل الرب لأن هذا الأخير مات منذ زمن بعيد .... هذه الجملة التي قادتني إلى فلسفة نيتشه ومن ثمة إلى كارل ماركس وسيغموند فرويد** " [2]، "فرشيد" كان مهتما بالفلسفة والسياسة و تأثر كثيرا بالفلسفات الغربية التي تنفي وجود الله وهذا ما جعله كافرًا ملحدًا ويؤكده في قوله: " **تعرف يا سي عبد القادر أنا ملحد كافر بدين المسلمين لا أصوم ولا أصلي**"[3]، نجد هذه الشخصية تقيم فجوة كبيرة بينها وبين الدين حاول محاربته بكل أفكار التحرر ولم يؤد أي واجب ديني بل كان همه تحصين أسرته من كل العادات الدينية التي يراها عادات بالية لا أساس لها من الصحة.

- **نبيل**

طالب جامعي ذو أخلاق عالية من عائلة مستقرة وجد مقتولا أمام بيته وسط ساحة المتوسطة التي يقطنون فيها، راح ضحية الأفكار المتطرفة التي زرعت في عقله من طرف الجماعات المسلحة، فمقتله كان صلب الموضوع الذي تدور حوله أحداث الرواية.

"نبيل" كان طفلا خجولا متفوق في دراسته ليس لديه أصدقاء سوى أفراد عائلته لكن من مجرد خروجه من البيت العائلي واحتكاكه بعادات مغايره لم يعتد عليها تغيرت طباعه إلى "....**إلى غايه تلك الصائفة الملعونة ماتت أمي المقهورة، ذهبنا لحضور الجنازة هناك في**

---

[1] _ المصدر نفسه، ص 63.

[2] _ محمد ساري: القلاع المتآكلة ، ص64.

[3] _ المصدر نفسه، ص88

قريه أولاد موسى تركتك عند أعمامك لتقضي بقية أيام العطلة، هم الذين ألحوا وأنت أيضا كنت تريد البقاء، ويا ليتني ما بقيت ولكنني قلت ستتعرف على العائلة وحياة الريف.... ستترجّل ....كنت مخطئا نسيت نهائيا تلك العادات التليدة قلت أنها ذهبت مع أصاحبها ولكن قلة انتباهي واستعجالي بالعودة جعلتني لا أرى انتشار العباءات و الشواشي و اللحى الكثة المغبرة على ذقون المشيعين تأملت القرية أكثر من ذي قبل ، تركتك في عرين الضباع وعدت إلى بيتي أواصل قراءة الفلسفة وجريدة لوموند"[1].

من خلال هذا المقطع نجد تغير أحوال الشخصية وذلك من خلال الحياة في الريف أو القرية التي أصبح أفرادها أكثر تدينا من ذي قبل، فأغلب رجالها أصبحوا يرتدون الزي الاسلامي كالقميص وأصبحوا ذو لحى طويلة وهذا ما أثر على "نبيل" كونه لم ير من هذا العالم سوى ما وجد عليه عائلته. لم يعد "نبيل" ذلك الطفل الذي من تركه في تلك القرية، أصبح يمثل دور الرجل الناضج صاحب الخصال الحميدة إنسان كثير التدين ومختلف عن كل ما حوله، بل وأصبح شخصا آخر ثائرا على الوضع الذي كان عليه سابقا، كارها لوالده "رشيد" الذي لا يؤدي واجباته اتجاه الله، وبالتالي كان "نبيل" لقمة سهلة استطاعت الجماعات المتطرفة أن تشغله ويظهر ذلك في قوله: "**فقد حاول رشيد أن يفهمه أن الجماعة التي يخالطها لا تحب الخير للبلاد والعباد، إنها جماعة ضالة تتستر وراء الدين لخدمة مصالح أمريكا الإمبريالية و الممالك النفطية العربية، وجماعات الجهاد الأفغاني التي تمولها أمريكا الليبيرالية في حربها ضد روسيا الاشتراكية وما الدين إلا غطاء لإغراء الشعوب الفقيرة المؤمنة بحمل السلاح، الصراع صراع مصالح اقتصادية وليس صراع قناعات و إيمان**"[2]، ولقد زاد تطرف "نبيل" منذ أن دخل الجامعة في حين كانت الجامعة معبدا للمعرفة والعقل والتنوير و أضحت اليوم مكانا للتطرف والجهل والتعصب و الخرافات

[1]– محمد ساري : القلاع المتآكلة، ص 93.

[2]– نفسه، ص12.

البائدة، " **في منتصف السنة الأولى حينما دخت علينا بلباس أفغاني ولحية عتروس تأملتك غير مصدق عيني وقلت لك: ما هذا الكرنفال؟ قلت بنبرة اعتزاز: هذا لباس إسلامي ، قلت لك: هذا ليس لباس المسلمين، وإنما لباس الأفغان التقليدي..... المسلمون معروفون عبر كامل الكرة الأرضية، ولكل بلد لباسه التقليدي، لا يوجد لباس يسمى بالإسلامي بل يوجد اللباس الخليجي و الإيراني و الماليزي والباكستاني والمغاربي.....**"[1]

التاريخ يعيد نفسه هذا ما يمكن قوله على حياة "رشيد" وابنه والعلاقة بينهما فيوم كان "رشيد" معاديا لأبيه ورافضا لعاداته البالية، وها هو اليوم ابنه يرفض أفكار أبيه المتحررة وما وقع فيه من إلحاد، فكلاهما "رشيد" وابنه تحملا القيود التي فرضتها عليهما العائلة، "فرشيد" أعاد نفس الخطأ الذي ارتكبه والده في الماضي، مما أدى إلى عدم تحمل الإبن وانتحاره فكانت العواقب وخيمة.

ب-الشخصيات الثانوية

أسهمت هذه الشخصيات في سرد الأحداث وتطورها وتداخلها على الرغم من دورها الثانوي وكان لكل منها تصرفاتها....ووجودها المعضد للشخصيات الرئيسة الّذي يميزها عن باقي الشخصيات الأخرى، ومن أبرزها:

- **نصيرة(زوجة رشيد):**

مثال للمرأة المتحررة التي تعيش حياتها دون التقيد لما يمليه عليها المجتمع فهي كذلك كانت مثل "رشيد" لا تصلي، تعتبر العنصر النسوي الوحيد الذي ذكر بكثرة في الرواية، ولقد تغيرت منذ مقتل ابنها "نبيل" فبعدما كانت جريئة كما عرفها "رشيد" " **فتاة في العشرين، منطلقة، شعرها يتدفق على كتفيها كريش الطاووس، الابتسامة البريئة، بلا**

[1]- محمد ساري: القلاع المتآكلة، ص96.

حسابات، سروال جينز آخر موضة" [1]، فتاة بهذه المواصفات تكون ذات شخصية قوية و عقلية متحررة تعتزّ بنفسها وقناعاتها خصوصا وأنها في مرحلة ترى بأنها يجب أن تثبت نفسها في المجتمع وذلك بمناهضة الأفكار الإسلامية فما عادت "نصيرة" تلك المرأة المرحة المتفائلة وقد انطوت على نفسها فأصبحت كثيرة التدين" **أضحت مداومة على القنوات الدينية السعودية و المصرية، تصلي بانتظام وتصوم أيامّ الإثنين والخميس**"[2].

تزعزعت قناعاتها التي كانت تؤمن بها وأفكار التحرر التي كانت تعشقها " **أول مظاهر العودة الى التدين عند زوجتي صوم رمضان، تذرعت بكون جميع زميلاتها في الثانوية صائمات وأنهن سيحتقرنها إن اكتشفن أنها لا تصوم**"[3]، وهنا يصور لنا الراوي الجانب الضعيف لدى المرأة، فرغم تحرر "نصيرة" وتشبعها بالأفكار التقدمية إلا أنه من السهل التأثير عليها وسرعة ضعفها و انصياعها.

فبعد مرضها بالسرطان أصبحت أكثر تدينا لأنها ربطت مرضها بالعلاقة غير شرعية التي جمعتها "برشيد"، أيام الجامعة، " **ماذا فعلت نصيرة الوديعة حتى يهوها الشعور بالندم وتعتبر مرضها عقابا إلاهيا**"[4]، فرجوعها إلى الله هو محاولة منها للتكفير عن ذنبها.

- **سي أحمد**

هو محافظ شرطة عين كرمه يتابع قضية مقتل "نبيل" حاول فك خيوط هذه الجماعة التي نشرت الرعب والحزن في هذه القرية، التي لطالما كانت قرية هادئة تبث الراحة في نفس سكانها إلا أنها ما لبثت حتى تغير لونها أصبحت شاحبة حزينة وغير مريحة إلا أن "السي أحمد" وهو شخصية مثلت الشطر الثاني من رجال القانون النزهاء، "**وهو**

[1]–المصدر السابق، ص72.

[2]–محمد ساري: القلاع المتآكلة، ص17.

[3]– المصدر نفسه، ص88.

[4]– المصدر نفسه، ص61.

أيضا من خريجي كلية الحقوق ومن عشاق النظام و الانضباط تأثر دائما بمقوله جان جوك روسو العدالة دون قوة ضعيفة والقوة دون عدالة مستبدة، مبدأ آمن به ويعمل على تطبيقه في مهنته وهو من المعجبين بالعقيد هواري بومدين"[1] كان رجل مولع بمتابعة الأخبار السياسية وبمثابة القاعدة الأساسية التي يستند إليها الكاتب لتزويد المحامي "عبد القادر" بالأخبار الصحيحة عن الجماعة الإرهابية والمساجين.

- **يوسف عياشي**

مراسل صحفي كان يعمل في جريدة الأخبار الأسبوعية وموكل "عبد القادر" يقبع في السجن منذ أكثر من شهرين اتهم بأنه نشر أخبار....تمس هيئة نظامية حول اختفاء بعض الشبان من قرية عين كرمة والتحاقهم بالجماعات الإرهابية، " **يذكر في مقاله أن بعضهم التحق فعلا بالجبال للانضمام إلى الجماعات الإسلامية المسلحة هروبا من المداهمات الليلية المتواصلة لقوات الأمن**".[2]

"يوسف عياشي" كان نمودجًا معارضًا ورافضًا لقمع السلطة الذي سجن ظلما جراء أفكاره الفاضحة لسياسة السلطة فقد قادته الجماعات الإسلامية عنوة بعد أن وقع هجوم على شاحنة المساجين، "**أنا تعبت وكرهت العيش وسط هذه الجماعة ، الآن جئتك بلا إذن منهم، كلهم يريدون ان أحمل السلاح وأشاركهم في القتل والتخريب، يقومون بكثير من الخراب المجاني، قبل أيام قليلة قاموا بحرق شاحنات وحافلات وادي الرمان ما الفائدة ؟**"[3]

ولقد عبر عن تذمره ورفضه لهذا التخريب للأمير الّذي كان قريبًا له ويعرف أمه وحتى قضية والده، " **قال له عن حربنا حرب ضد سلطة العسكر وكل الوسائل المباحة حتى الغير الشرعية منها ما يخرب اليوم سنعيد بناءه بعد اعتلائها السلطة وتأسيس الخلافة**

---

[1]–محمد ساري: القلاع المتآكلة، ص57.

[2]– المصدر نفسه، ص24.

[3]_محمد ساري: القلاع المتآكلة،ص162.

الإسلامية والجميع واثق من قرب تأسيس هذه الخلافة، ومتى ؟ وكيف؟ الله أعلم شخصيا لا أرى معالم هذه الخلافة ولا كيف ولا متى ستكون؟"[1]

فبهذا الفكر الجديد المسيطر استطاعت جماعة الأصوليين أن تستحوذ وتؤثر على عقول العامة والخاصة فانساق وراءه الشباب الذين انبهروا بهذه الايديولوجية والفكر الديني فتقبلوها واعتنقوها اعتقادا منهم أنها الحل الأمثل والسحري لمشاكلهم.

- **عبد الجبار**

صديق "ياسين" اعتقل من طرف قوات الأمن ونقل إلى سجن الصحراء،اتهم بشتم المجاهد الكبير رئيس الدولة الذي فجر الثورة لينعموا بالاستقلال اليوم وممثل في قوله: " **في تلك اللحظة أطل ابني من غرفته وقال للدركي : لو كان هذا الطاغية مجاهدا كبيرا لما قبل الجلوس على كرسي غيره والموافقة على السطو على سلطة الشعب، ردّ عليه الدركي: أنت هو زعيم الشياطين الذين أرادوا تدنيس وطن الشهداء والثورة، هيا أمسكوه وقييدوه"**[2], ونجده أيضا في قوله: " **كانت أم عبد الجبار دائما تلقي لوما عليه لم أفهم ما هو الإسلام الذي يريده أصحاب بولحية، نحن مسلمون منذ ولادتنا، لا أحد منعنا من الصلاة ولا من الصوم ولا من الحج، بل أنا ممنونة للدولة التي منحت لنا زوجي وأنا،حجة مجانية فلولاها لما تمكنا أبدا من زيارة البقاع المقدسة والتبرك بمقام نبيينا صلى الله عليه وسلم"**[3] .

لكن ورغم هذا كلّه لم ينفع معه لأنّ بعد مكوثه الطويل في السجن لم يغير من طباعه فقد بقي بطريقة التفكير نفسها المتطرفة بل وراح يدافع عن "نبيل" ويشجعه من أجل الالتحاق بجماعتهم.

---

[1]– المصدر السابق، ص163.

[2]– محمد ساري: القلاع المتآكلة، ص190.

[3]– محمد ساري: القلاع المتآكلة،ص189.

- **ياسين**

يعتبر شخصية ثانوية في الرواية ، صديق "نبيل" المقرب والذي زرع في عقله الأفكار الأصولية، والذي كان السبب في انتحار "نبيل" المفاجئ نتيجة الضغوطات التي مارسها عليه، كان ضمن أصحاب الدين والشريعة ويعتبر الشريعة والقرآن مصدرًا للتشريع أما الديمقراطية والقوانين الوضعية والعلمانية كفرا وخروجا عن الدين في نظره، طرد من الثانوية لأنه رفض حلق لحيته ومعروف بنشاطه مع الإسلاميين ، " **نحن جنود الله الجدد ولنا غزواتنا التي لا تقل أهمية من غزوات بدر وأحد وغيرها من غزوات المسلمين الأوائل، سنتقرب إلى الله برؤوس أخرى من الكفرة الطغاة**"[1] يرى أن قتل الملحدين والكفار قربانا يتقربون بها إلى الله وهذا ما نلحظه ونستنتجه في المقطع السردي الآتي على لسان "ياسين" " **اقتله إنه كافرو زنديق اقتله تتقرب به إلى الله وتضمن مكانا في الجنة بها كل ما لذ وطاب.....بها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.....ألا يكون دخول الجنة إلا بقتله؟**"[2]، السارد هنا لربما أراد أن يصور لنا الإنسان المتدين الذي لا يعرف حدود تدينه، ومن ثم فالرواية تعرض لنا وجوها مختلفة للتدين من حيث أنه يوجد من جعله طريقا ميسرة لأصحابها على الإنحراف وارتكاب المحرمات يقتل النفس بغير حق.

نلحظ أن الشخصيات في الرواية تنتقل من فضاء الى آخر وذلك حسب الدور التي تقوم به كل شخصية لتسهيل عملية رصد الشخصيات في الفضاء الذي تمركزت فيه، ولكن في بعض الأحيان نجدها شخصيات متصارعة إديولوجيا وفكريا وتتعارض من حيث الهوية في كل تجلياتها المظهرية والفكرية.

[1]– المصدر السابق، ص227.

[2]– محمد ساري:القلاع المتآكلة،ص224.

ثالثا: تمظهرات الخطاب الديني من خلال المعجم اللغوي

اللغة هي الوسيلة الوحيدة التي يستطيع الراوي من خلالها نقل أفكاره وصياغتها... في قالب سردي، " **فاللغة وظيفة عضوية في الإنسان**"[1] هي أساس كل عمل روائي ؛ إذ أنّ الكاتب يستطيع بواسطتها التأثير في القارئ، وبها يتشكل ويتكون العمل الأدبي، "**فاللغة هي الوجه الآخر للفكر**"[2]، وبذلك تعد اللغة مكون أساسي من مكونات الذات الإنسانية وهويته، ولكل روائي معجمه الخاص به حسب الشخصيات و الموضوع الذي يعالجه، " **وهذا ما نلحظه على رواية الأزمة في توظيفها للشخصية المتطرفة الدينية الباحثة عن الإيديولوجية والشرعية لأجل هذا وظفت هذه الأخيرة معجما ذات دلالة إيديولوجية تمتح من المعنى الديني المتبني خصوصيتها ثم طوعيته لتحقيق مقاصد الدعوة في كسب المشروعية و المصداقية عند المؤيدين و الأنصار**"[3]؛ إذ جعلها الكاتب تتحدث وفق المعتقد و الفكر الإيديولوجي الذي تنتمي إليه وهذا ما لمحناه في روايته القلاع المتآكلة."

يقول السارد على لسان إحدى الشخصيات: " **يا أستاذ نحن نقدرك لأنك محامي شيوخنا المبجلين**"[4].

وكذلك قوله:" **دخلت الموضوع مباشرة وكررت أمامه رغبتي بالإلتحاق بجماعتهم قال: ودراستك؟ قلت : أي دراسة يا أمير؟**"[5].

ففي لفظة **شيوخنا المبجلين** ولفظة **الأمير** في الرواية إشارة إلى مكانة هؤلاء الأشخاص الذين يدّعون الدّين فمثل هذه الألفاظ " **الشيخ، الأمير**" لها مرجعيات دينية لكنها بتوظيف

---

[1]– محمد غنيمي هلال : النقد الأدبي الحديث، دار النهضة، مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1997مّ، ص39.

[2]–فيصل دراج: نظرية الرواية والرواية العربية، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء(المغرب) ، 1999، ص 68.

[3]– سليمة خليل : الحداثة السردية في الرواية الجزائرية، نقد المرجعيات في رواية الأزمة،ص56.

[4]– محمد ساري: القلاع المتآكلة، ص112.

[5]– المصدر نفسه، ص 225.

وبمعنى مخالف فهي عندهم تطلق على الأشخاص الذين لهم منزلة عالية في جماعتهم وهي رمز لسيطرة الدّين على السياسة ومن هنا فالمعجم الخاص في هذه الجماعات المتطرفة يبدأ من " **هذه الألقاب والتسميات التي ..... سواء داخل التنظيم أو داخل المجتمع وقد يشكل هذا التنظيم لنفسه شعارا خاصا به ويدعو له الإسلاموية لا ديمقراطية لا دستور القرآن والسنة**"[1]، فكل ما كانت تسعى إليه هذه الجماعات هو إقامة دستور خاص بها ومفهوم جديد للدين مؤدلج وفق منظورهم يخدم مصالحها لا علاقة له بما جاء في القرآن والسنة.

" **مشينا طويلا ورفعنا حناجرنا بالشعارات التي كان الجميع يرددها (عليها نحيا وعليها نموت: الشريعة، الشريعة.... لا دستور لا ميثاق، القرآن القرآن....)**"[2]، يرفعون مثل هذه الشعارات الدينية المعارضة للسلطة ، وتكرر لفظتي "القرآن" و"الشريعة" في شعاراتهم لم يكن عبثا وإنَّما لتأكيد حقيقة أرادوا إيصالها للطرف الآخر وهو السلطة، وأن القرآن هو دستور الدولة ومرجعها و أساسها ، ونلاحظ أن المعجم اللغوي لخطاب الشخصية المتطرفة غلب عليه ألفاظ تنتمي إلى الحقل الدلالي للعنف و التكفير ويظهر في الرواية في شخصية "ياسين" الذي كان يحرّض "نبيل" إلى قتل والده فيقول: " **اقتله انه كافر وزنديق....** "[3] يأتي خطاب هذه الشخصيات مصحوبا بعبارات دينية ليضيفوا على أفعالهم وأقوالهم التشريعية التامة وكأن الدين هو من أمر بذلك ممثل في قول "ياسين": " **لا طاعة في مخلوق في معصية الخالق وإن كان هذا المخلوق أحد الوالدين**"[4] ونجده أيضا ممثل في قول أحد الشيوخ: " **هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين**"[5]، غالبا ما يكون خطابهم مصحوبا بآيات قرآنية يسهل عليهم إقناع وإستمالة الرعية من الشعب ليلبسوا الآيات معاني مغايرة للمعنى الأصلي

---

[1]- ياسمينة خضرا: خرفان المولى، تر: محمد ساري، دار الفارابي، ط1، بيروت، لبنان ،2011 ص140.

[2]- محمد ساري: القلاع المتآكلة ،ص 140.

[3]- المصدر نفسه، ص 224.

[4]- المصدر نفسه، ص138.

[5]- محمد ساري: القلاع المتآكلة، ص114.

الذي جاءت به في القرآن الكريم ،ونلمس في خطاب الشخصيات المتطرفة دعوة إلى حمل السلاح، تحت مسمى الجهاد كما هو شائع في عرفهم، وتتمظهر في الرواية في عدة مقاطع.

" **السلطة الطاغية هي التي أجبرتنا على إستخدامه ورفع السلاح في وجهها وهذا دفاع شرعي عن النفس** "[1].

وكذلك في قوله: " **نحن جنود الله الجدد لنا غزوتنا**"[2]

وأيضا: " **عملية جهادية**"[3]

يحاولون رسخ فكرة الجهاد في أذهان الشباب مدعين بأنهم خلفاء الرسل في الأرض والغاية من خلقهم هي الجهاد ونشر رسالة الإسلام ، كلها مجرد فتاوي أفتى بها المتطرف وفرض على المؤيدين بتنفيذها وحماية الدين، ونلمح أيضا في الرواية بعض التسميات التي يطلقونها على الآخر.

" **جبروت الطغاة يتحكمون برقاب هذا الشعب المؤمن**"

" **الطغمة التي تستعبد المؤمنين**"

" **طغاة زنادقة**"[4]

وغيرها من الصفات التي كانوا يصفون بها السلطة السياسية قصد تشويه صورة الآخر في نظر الشعب فجُل خطاباتهم تحمل في طياتها نقدا لممارسات السلطة السياسية وهي عبارة عن سياسة تمارسها الشخصية المتطرفة لإضعاف موقف الآخر، وهي " **تمارس بإسم الدين**

[1]- محمد ساري: القلاع المتآكلة، ص112.

[2]- المصدر نفسه، ص227.

[3]- المصدر نفسه، ص227.

[4]- المصدر نفسه، ص 112،113.

وتتلبس الشريعة منه" [1]، ونلمح ذلك في الرواية من خلال قول السارد على لسان إحدى الشخصيات" **دعوناك لنعرفك على الحقيقة ، الحقيقة كما يحبها الله ورسوله الكريم صلى الله عليه وسلم**"[2]، يدعون أنهم أهل الحق مستعملين ألفاظ دينية ويقومون بتأويلها تأويلا مضادا للخطابات الدينية بما يخدم مصالحهم .

" **كافر**"، " **زنديق**"، " **طاغية**"، " **فرعونا**"[3]

كلها صفات كان يقذف بها "نبيل" أباه وهذه نتيجة الأفكار التي زرعها "ياسين" وجماعته في دماغه حتى جعلوه في الأخير عدو لأبيه فأوشك على قتله رغم أن "نبيل" شخصية مثقفة فهو كان طالب جامعي إلاّ أن الجماعة المتطرفة والتي كان متأثرًا بها رسخت لديه القناعة بأنّ الدّين هو الحل و الخلاص من كلّ المشاكل التي تواجهه في حياته ، جعلته يؤمن بأنّ تأسيس الخلافة الإسلامية سيضع حد للدّمار التي كانت تمر به البلاد آنذاك وأنّ الأشخاص المخالفين لفكرة الخلافة الإسلامية هم أعداء الدين.

وهكذا مثل المعجم اللغوي للشخصية المتطرفة داخل الرواية خطابا متطرفا يحمل بعدا أيديولوجيا يقصي كل حقيقة تخالف مبادئ العقيدة المزعومة لديه ويظهر ذلك من خلال الألفاظ التي يوظفونها في خطاباتهم الألقاب والشعارات الجوفاء التي يرفعونها واستندت عليها لتفرض سيطرتها وتبسط وفودها وتقرّر مشروع التطرف.

رابعا: تمظهرات الخطاب الديني من خلال الفضاء المكاني:

يمثل المكان المرآة العاكسة للشخصية في العمل الروائي، فهو يبين حالتها المعيشية وطريقة تفكيرها وحالتها النفسية وكل ما يتعلق بها.

---

[1]– نور الدين الزاهي: المقدس الإسلامي ، دار توبقال، ط1، المغرب، 2005،ص146.

[2]– محمد ساري: القلاع المتآكلة ،ص112

[3]– المصدر نفسه، ص 224،190،164.

"**إنه العالم الواسع الذي يشمل مجموع الأحداث الروائية، فالمقهى أو المنزل أو الشارع، أو الساحة كل واحد منها يعتبر مكانًا محددًا**"[1]، كما كان المكان يشكل نسق العمل الروائي، فهو بذلك يمنح النص الترابط بين أفكاره من أجل بناء نص حكائي متكامل فهو يشكل "**العمود الفقري الذي يربط أجزاء النص الروائي ببعضها البعض**"[2]، بل إنّه في بعض الأعمال يتحول إلى فضاء يحتوي كل العناصر الروائية بما فيها الأحداث و الشخصيات وما بينهما من علاقات، وعنصر فعّال في تطوير وبناء الرواية "**هو المحيط الّذي تتحرك فيه المؤثرات الخاصة والعامة على الشخصيات والأحداث و يعتمد تركيب تلك الشخصيات من نواحيها الجسدية و الفكرية والإجتماعية والخلقية على البيئة أو المكان الّذي تعيش فيه هذه الشخصية، كونه أكثر عمقًا وتنوعًا وتغلغلاً في الشكل البنائي للرواية، فهو جزء فاعل في الحدث و خاضع خضوعًا كليًا له**".[3]

والآن نحن بصدد دراسة ثنائية الفضاء المفتوح والمغلق التي تمثل أساس رواية " **القلاع المتآكلة**"، فالفضاء المغلق هو فضاء ضيق، ومحدد بأطر تمنع انفتاحه، أمّا الفضاء المفتوح هو فضاء شاسع وواسع وممتد.

1-الأماكن المفتوحة : كان لها حضور في الرواية يمكن إلمامها وحصرها فيما يلي

أ-مدينة عين كرمة

تمثّل الفضاء المفتوح الّذي دارت فيه أحداث الرواية من أولها إلى آخرها، والمركز الذي وقعت فيه مختلف الجرائم و الممارسات العنيفة من قتل وخطف مما أدّى إلى تشوه ملامح المدينة، "**عين الكرمة اليوم.... تصدعت، تورمت،تشوهت، من جراء الزحف الريفي**

---

[1]- حميد لحمداني: بنية النص، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر و التوزيع، ط1، 1991، ص 63.

[2]-أحمد مرشد : البنية و الدلالة في روايات إبراهيم نصر الله ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، 2005، ص128.

[3]- ضياء غني الفتة: البية السردية في شعر الصعاليك، دار الحامد للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2010،ص117.

الفوضوي، وفوق كل هذا هاهو الإرهاب يغرقها إلى أوحال جهنم ، برصيد إختراعاته .... في زهق الأرواح،. وتشويه الجثث التي فاقت إنجازات إبليس التاريخية. من قرية تشعرك بالأمان و الاطمئنان من الاحتكاك الأول إلى مدينة تدخل في نفسك الكآبة وينتابك الخوف"[1]، لتتحول دلالة المدينة من مكان مفتوح تنتقل فيه الشخصيات إلى مكان مغلق بفعل الإرهاب و العنف الذي كان يحدث بداخلها، وأصبحت مكان حاضن لمختلف أنواع الظلم الاجتماعي، وبذلك يمكن تغيير دلالة المكان حسب الأحداث الّتي تدور بداخله تماما مثل مدنية "عين الكرمة" التي تغيرت دلالتها إلى مكان مغلق وتحولت إلى" **لمحة تتمازج فيها كل الأنواع الموحية بمفارقات الحياة**"[2]، وعدم توفر شروط الحياة فيها وغياب الأمن و الاستقرار ومن جهة أخرى يفتح لنا السارد المجال لرؤية المدينة التي أصبحت مقر للغرباء الهاربين من أوكارهم بسبب صعوبة المعيشة في الأرياف وتحولها إلى سوق كبيرة تمارس فيها مختلف أنواع البيع والشراء مما أدى إلى تأزم الأوضاع أكثر، " **شيئا فشيئا غصت شوارع المدينة برجال غرباء،....استقر بها اسكافيون يبيعون ويحنطون ويرقعون الأحذية القديمة كما برزت مهن تصليح الساعات وبيع البطاريات الالكترونية ضاقت الساحة بالبائعين فاستولوا على الأرصفة لا قانون ولا سلطة يخضعون لهما متمردون حاقدون على الحكومة وخطاباتها الواعدة الكاذبة التي هجرتهم من قراهم البعيدة.....**"[3] ، تحولت المدينة إلى ملجأ للغرباء فقد بذلك السكن علاقته بالساكن فبعد أن كانت مدينة تشع هدوء وأمنا أصبحت كالعلبة الصغيرة المغلقة تعجّ شوارعها بالضجيج وخاصة بعد افتتاح سوق المكسيك الذي حولها إلى منطقة لممارسة مختلف أنواع المهن وما زاد الطين بلة هو ظهور الجماعات الإرهابية التي نشرت الرعب في قلوب سكانها، "**فقد تعفن الوضع في المدينة حقا**

[1]–محمد ساري: القلاع المتآكلة،ص23.

[2]– حفيظة أحمد: بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية، منشورات الرعاة للدراسات والنشر، ط1، فلسطين،2007، ص160.

[3]– محمد ساري: القلاع المتآكلة، ص22.

أشخاص يختفون فجأة جثث مشوهة أحيانا بلا رؤوس أو رؤوس آدميين داخل أكياس مرمية في الطرقات"[1]؛ إذ حاول السارد من خلال وصف التغيير الذي طرأ على مستوى مدينة "عين كرمة" أن يرينا الصورة التي أصبحت عليها الجزائر في فترة العشرية السوداء والتصدعات التي أصابتها بفعل الجماعات المسلحة، " **فهو ينتقل من مجرد بنية وشكل هندسي إلى مكان مأساوي يساهم في خلق المعنى داخل الرواية، أبعاد دلالية ورمزية تعكس التحولات التي شهدتها**"[2]، المدينة إثر ظهور الجماعات الإسلاموية والدمار الّذي لحق بها بعد ذلك ، وهكذا كانت مدينة "عين الكرمة" في الرواية الفضاء الذي حاول السارد من خلاله أن ينتقل لنا الصورة التي كانت عليها الجزائر في فتره الأزمة ولعل من أهم الأحداث التي مثلت تلك الفترة وبشاعتها في الرواية مقتل "نبيل" والاعتداء الذي حصل على شاحنة المساجين،" **ابني أقول لك ابني هل تسمعني ؟ عثرنا عليه ملطخا بالدماء....**"[3]

" **قال القاضي: الشاحنة المقلة للمساجين لم تصل بعد فيها ثلاثة إرهابيين سيحاكمون اليوم.... الصحافي يوسف عياشي موجود في هذه الشاحنة أيضا الله يستر.... ولكن لا أحد من الحاضرين تجرأ على النطق بما يمكن أن يكون قد حدد فعلا، كمين نصبه الإرهابيون لتحرير زملائهم من السجن**"[4]، كل هذه الأحداث رسمت لنا ملامح مدينة "عين الكرمة" التي تآكلت ودبت فيها الفوضى واستغلال الناس الأبرياء على يد الجماعات المسلحة، "**عين كرمة لم تعد تلك الواحة الوارقة الظلال الدافئة الحضن التي آنست العيش بين أساورها الآمنة تغير كل شيء كبرت المدينة واغتنت لكنها فقدت براءتها وطيبتها**"[5].

---

[1]– المصدر السابق، ص 24.

[2]–غنية بوجرة:مأساة المكان واغترابه، جامعة الحاج لخضر باتنة،مجلة النص تصدر عن كلية الآداب واللغات، ع3، 2016، ص167.

[3]– محمد ساري : القلاع المتآكلة،ص8

[4]– المصدر نفسه، ص32،31.

[5]– المصدر نفسه، ص82.

وتحولت إلى ساحة حرب عرفت جميع أنواع القتل والتعذيب وأصبحت مكان لسفك الدماء وإزهاق الأرواح البريئة ومختلف ممارسات الجماعات الأصولية تحت شعار الدين وإقامة خلافة إسلامية، وبهذا كانت المدينة فضاء واسعا متعددة الوظائف والشخصيات والمستويات الاجتماعية والسياسية حملت دلالات تكشف عن ساكنيها وتعري حقيقتهم وأيديولوجيتهم الإسلاموية الأصولية.

ب-السوق

جاء ذكر هذا المكان في الرواية بصورة مبتذلة؛ حيث نجد السارد يشير إليه عند تحدثه عن الحياة الاجتماعية السائدة آنذاك، " **في سنوات قليلة تحولت الساحة العمومية إلى سوق فوضوي للخردوات والملابس المهربة من المغرب**"[1] ، نضيف إلى ذلك أن فضاء السوق كان مسرحا لجريمة قتل الشرطي على يد أحد المواطنين المختلطين في الجماعات المسلحة، " **كاشفت إخواني في السرية فاتفقنا على نصب كمين للشرطيين في مدخل الزقاق الذي يتواجد فيه محل كريم.... انتظرت مجيئهما وأنا أروح وأجيء وسط الحشد، كان معي مسدس أوتوماتيكي أخفيه في جيب سترتي، أديت الخدمة العسكرية وأعرف استخدام السلاح من سوء حظنا أن الذي حضر هو ذاك القبائلي فقط ...توقف عند ركام أحذية رياضية معروضة فوق حصير رث، تناول زوجا أبيض اللون ماركة أديداس قبل أن يسال البائع عن ثمنه انتهزت الفرصة وأخرجت المسدس وأطلقت عليه رصاصتين في الظهر من جهة القلب مثلما أوصاني أخونا عبد الجبار**"[2]؛ بحيث حاول السارد أن ينقل لنا كيف تغيرت دلالة هذا الفضاء في تلك الفترة من مكان عام يلتقي فيه البائعون والمشترون لبيع وشراء مختلف المنتجات إلى مكان تُحاك فيه المكائد والجرائم.

[1]- محمد ساري : القلاع المتآكلة،ص22.

[2]- المصدر نفسه،ص121،120.

إذ أنّ صيت الموت والقتل الذي كان يخترعونه هؤلاء الأشخاص الذين يدّعون التدين وصلت إلى السوق حتى أنهم جعلوا من السوق أرضية لتنفيذ خططهم وجرائمهم مستغلين بذلك الانتشار العشوائي للناس فيه مما يصعب مهمة التعرف على الفاعل الحقيقي.

ج-المقهى

يعد المقهى علامة من علامات الانفتاح الاجتماعي والثقافي وينتقل من مكان مفتوح جغرافيا إلى مكان مغلوق دلاليا ويوظفه الكثير من الروائيين حيزا مكانيا مفتوحا، "**والمقر عند كبار الأدباء والمثقفين والسياسيين في مصر وبلاد الشام مكان لصناعة الأفكار وتوليدها**"[1] أمّا في الرواية فقد حضر مكان شهد حركة انتقال الأشخاص من كل مكان و خاصة عبد القادر وزملائه الذين كانوا يلجأون إليه، لقضاء أوقات الفراغ وإخراج المكبوتات والتحدث عن الأوضاع السياسية للبلاد، " **ما إن عتبت باب المقهى حتى ارتفع صوت بوعلام سعدون يدعوني للالتحاق بطاولته جليس إليها أربعة من زملاء المهنة، من كثرة الصخب أدركت أنهم وكعادتهم يخوضون نقاشا ساخنا حول حدث سياسي أو رياضي جديد قال بوعلام متحمسا ما رأيك في موقف اليامين زروال؟ أليس شهما يذكرنا ببومدين**"[2]، فبعد أن كان المقهى للترويج عن النفس والذات والهروب من ضغوط العمل، تحول إلى مكان لنشر ومناقشة الأفكار السياسية والأوضاع المزرية التي آلت إليها البلاد، فالسارد حاول توظيفه لفضاء المقهى ليكشف لنا كيف استطاعت الجماعات الإسلاموية من خلال ما فعلته أن تحدث تغييرات في جميع أنحاء البلاد، وحتى المقاهي، كما نجد الكاتب يوظفها في جزء آخر من الرواية كملاذ لإخراج المكبوتات وإفراغ الهموم التي كان يعاني منها المواطن في فترة الأزمة "**أنا لم اشرب قهوتي بعد هيا بنا عند سي رابح البليدي يعصر لنا اثنين من القطران نفتح**

[1]- شاكر النابلسي: جماليات المكان في الرواية العربية،دار الفارس للنشر و التوزيع، ط1، الأردن ،1994، ص196.

[2]- محمد ساري: القلاع المتآكلة:ص25.

بهما عيوننا ونطرد نعاس الليالي المؤرقة ....أتى النادل الشاب بفنجانين من قهوة بريس"[1]، فهي كانت المقصد لكثير من أمثال" رشيد بن غوسة" لإفراغ ما بداخلهم من آلام و أوجاع سببها لهم وطن جريح وقع في أيدي أبناء عاقون وقد تحول المقهى من فضاء مفتوح يستقبل مختلف الأشخاص ويتم بداخله تبادل مختلف الآراء إلى فضاء مغلق يحمل دلالات الركود والضياع والعجز عن التغيير، على الرغم من أن حضور المقهى في الرواية كان بسيطا إلا أن الراوي حاول من خلاله أن يبرز الصورة التي أصبح عليها هذا المكان في فتره العشرية السوداء وكيف تم أدلجته هو الآخر وفقا لأوضاع البلاد آنذاك والفوضى التي أحدثتها الجماعات المسلحة.

هـ-المقبرة

هي فضاء مفتوح كل الانفتاح فهو منفتح على عالم الآخرة ويحضر فضاء المقبرة في الرواية من خلال مراسم دفن "نبيلّ"، " **ولكنني وجدت أمامي شباب أقوياء، بعضهم ملتح بأقمصة اسلاموية يخطفون التابوت و يضعونه فوق أكتافهم ويركضون به إلى المقبرة غير آبهين بالوحل ولا بالبرك المائية المعيقة للسير، مرددين بأصوات خشنة، لا إله إلا الله... لا إله إلا الله...."** [2]

حاول السارد على لسان الشخصية "عبد القادر" أن يصف لنا تقاليد هذه الجماعات في الدفن والتعزية وتقديسهم لميتهم معتبرين إياه شهيد، ونجد في قول "عبد القادر" " **يبدو أن المقبرة أضحت مكانا مألوفا لدي هذه الأيام الله يستر... بالأمس فقط زرتها هذه لحضور جنازة شرطيين من الستة الذين قتلوا في الكمين** "[3]، هنا حاول السارد أن يكشف عن الكم الهائل للخسائر البشرية التي تسبب فيها هذا الصراع الدموي بين السلطة العسكرية والجماعات الإسلامية لدرجة أن المقبرة أضحت مكانا مألوفا لدى عامة الشعب

[1]- المصدر السابق، ص196

[2]- محمد ساري: القلاع المتآكلة،ص49.

[3]- المصدر نفسه، ص51.

فما يكادون ينتهون من دفن جثة حتى يجدوا جثة أخرى قد سقطت وبذلك كانت المقبرة فضاء واسعا فهي ترتبط بمعاني الحزن والأسى والألم والخوف من المجهول لذلك تعمد الراوي إلى ذكرها بحكم أنها كان لها حضور في خضم تلك الأجواء الموحشة التي مرت بها البلاد وما تحمله من دلالات الموت والفاجعة والنهاية المأساوية لهم.

د- المسجد

يعتبر من بين الرموز الدينية الذي يرمز للثقافة الإسلامية وهو مكان للعبادة والتقرب إلى الله عز وجل وأداء الفريضة وقد ظهر في الرواية مكانا للتوبة واسترجاع الذات بالنسبة "لنبيل" يقول: " **أصلي الليل وأؤدي الصلوات في وقتها، وأستغفر الله ليل نهار كي يعفو عني قال لي ياسين بأن الله يغفر الذنوب جميعا عندما يتوب الإنسان نلتقي في المسجد يوميا عند صلاتي الفجر والعشاء**"[1]، السارد كشف من خلال هذا المقطع أن المكان يحمل دلالة دينية وهي العبادة ولكن تغيرت دلالته في مقاطع أخرى ممثل في قول أحد **الشخصيات** " **المسجد و الصلاة، الأزمة الاقتصادية أفرغت جيوب الناس واليأس من الدنيا بلغ أوجه فلن تبق إلا بيوت الله إنها لا تكلف دينار واحد زيادة إلا أنها معبر مضمون إلى الجنة، فيرد عليه عبد العزيز ساخرا، ما دام طريق الجنة يمر عبر المسجد، فماذا ننتظر لنزع حذائك الريفي والركوع على زرابيه المغبره**"[2] ، وفي هذا المقطع جاء ذكر المسجد، بنبرة إستهزاء وسخرية؛ إذ أصبح المسجد وجهة للأشخاص الهاربين من الواقع ولمجرد أنه المكان الوحيد الذي بقى الدخول إليه غير مكلف ماديا، فبعد أن كان مقدس يحظى بمكانة عالية لا يدخله إلا من كان ينوي الصلاة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه وعن النبي عليه الصلاة والسلام قال:" **إن**

[1]- محمد ساري: القلاع المتآكلة،ص135.

[2]-المصدر نفسه،ص27.

أحدكم إن توضأ فأحسن وأتى المسجد لا يريد إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه خطيئته حتى يدخل الجنة"[1]

أصبح في تفكير هؤلاء الأشخاص مكانا يدخل لمجرد أن الدخول إليه مجانا لا يكلف على عكس الحانات الّتي كانت شائعة في تلك الفترة والّتي كان الناس يهربون إليها من واقعهم الأليم ،فالسارد أراد أن يبين لنا من خلال توظيفه لفضاء المسجد، كيف تم تغيير دلالة هذا المكان المقدس ومحو الهدف الأساسي الّذي بُني من أجله وهو العبادة ليتحول إلى فضاء لغسل أدمغة الشباب والترويج للأفكار المتطرفة من طرف الجماعات الإسلاموية وعليه نجده في الرواية يظهر بصورتين مختلفتين الأولى استرجاع الذات والعبادة، والثانية مكانا للهروب من الواقع المزري للبلاد ومنبرا لنشر الأفكار المتطرفة.

2- الأماكن المغلقة : في رواية "القلاع المتآكلة "نلاحظ أن الأماكن المغلقة ذكرت بشكل متفاوت وذلك حسب أحداث الرواية ويمكن تلخيصها فيما يلي:

أ-البيت

البيت هو مكان الراحة والدفء للإنسان ،"**وكما قيل مرارا كوننا الأول كون حقيقي بكل ما للكلمة من معنى**"[2] على عكس" نبيل" الذي كان بيته بالنسبه له سجنه دائما ما كان ينفر منه بسبب الصراع الدائم بينه وبين والده "رشيد بن غوسة" " **أصبح أبي مثل الدركي عند رأسي ساءت علاقتي به منذ أن أحيل إلى التقاعد يقضي أيامه لاصقا في الصالون يشاهد التلفزيون أو يقرأ الجريدة، وين رايح؟ وين كنت؟ كأنني مازلت أرضع اصبعي**"[3]

---

[1]- صحيح البخاري، الإمام حافظ بن إسماعيل البخاري(ت256): الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض،1998،ص،112.

[2]- غاستون باشلار: جماليات المكان، تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، بيروت، لبنان، 1984، ص36.

[3]- محمد ساري : القلاع المتآكلة:ص164.

"**وجدت الباب مغلقا بالمزلاج ،أرهبني قسمات وجهه الداكن، غضوب أردت الالتحاق بغرفتي ولكنه جرني إلى قاعة الحمام وأمرني بحلق لحيتي لقد أعد لي جميع أدوات الحلاقة ماذا أفعل؟ أطرقت برأسي ساكنا فأمطرني بوابل من النصائح والأفكار الهادمة التي تنتقد جماعتنا وتقلل من شأنهم.... رفعت رأسي وقلت أنت كافر ولا يحق لي طاعتك فصفعني صفعة كادت تسقطني أرضا**"[1]، فالسارد هنا لم يهتم بوصف تفاصيل البيت في الرواية بقدر ما اهتم بالحوادث التي جرت داخله، فالبيت كان مقر الصراع بين "نبيل" و"رشيد بن غوسة" بسبب اختلاف أيديولوجية كل منهما عن الآخر ونظرتهما المختلفة للجماعات الإسلاموية، ففي حين كان "نبيل" مؤيد لها كان "رشيد بن غوسة" من بين المعارضين لهذه الجماعات ورافضا لفكرة مخالطة إبنه لها، كما جاء ذكر هذا الفضاء في أحداث أخرى في الرواية ولكنه حمل نفس الدلالة فقد كان فضاء للصراع بين "رشيد بن غوسة" ووالده بسبب اختلاف معتقداتهم و نظرتهم للأمور " **أنا أعرف أنك لم تعد تصلي.... أنت تعرف أن تارك الصلاة عندنا مرتد وكافر وأنا لا أريد لابني أن يصبح كافر يكون مصيره جهنم والعياذ بالله لهذا فأنت أمام خيارين إما أن تعود إلى رشدك وتستأنف صلاتك مثلك مثل إخوتك، وإما أنت لست ابني وأنا لا أعرفك وطعامي محرم عليك ، طبعا اندفع رشيد وعارض موقف أبيه واتهمه بالتخلف وأن الجنة والنار أوهام بشرية لا علاقة لها بالحقيقة انفجر الأب غاضبا وطرده من البيت ومنذ ذلك الوقت لم يعد رشيد الى دار والديه إلى مرتين** "[2] وعليه فالسارد جعل البيت في روايته فضاء للصراع بين شخصيات تحمل خلفيات وأيديولوجيات مختلفة وقناعات فكرية متناقضة بين "رشيد بن غوسة" وابنه "نبيل".

[1]–المصدر السابق ،ص138.

[2]– محمد ساري: القلاع المتآكلة، ص85–86.

ب- الإقامة الجامعية

ظهر فضاء الإقامة الجامعية في الصفحات الأخيرة من الرواية وكان في مذكرات الشاب "نبيل" الّتي وُجدت في غرفته بعد موته " **إن جميع المقيمين في غرفتي الجديدة ملتزمون بشرع الله لحية حسب السنة النبوية الشريفة، قميص شرعي، احترام مواقيت الصلاة.... زيادة إلى أن المناقشات لا تحيد قيد أنملة عن القرآن والسنة كما أصبحت أحضر الحلقات الدينية التي تقام في المصلى من حين لآخر أحيانا يأتي خطباء من خارج الاقامة لإلقاء الدروس**"[1].

مما يعني أن عدوى التدين والالتحاء وصلت إلى فضاء الجامعة، فحتى المثقف لم يسلم من الفتاوي والخطابات المتطرفة التي كانت يُروج لها، وعليه يظهر لنا السارد أن فضاء الإقامة الجامعية في تلك الفترة كان هو الآخر مسرحا لغرس الأفكار الدينية المتطرفة وبالأخص أنّها مكان للجيل المثقف فكان فضاؤها هو البؤرة الّتي تتشكل فيها هذه الجماعات الإخوانية ولهذا يكون فضاء الإقامة الجامعية قد تحولت دلالته من مكان لإقامة الطلاب الجامعيين إلى مكان لغرس الأفكار السلبية.

ج-المستشفى

في الرواية يظهر لنا المستشفى بوتيرة سريعة ومتفاوتة ولكن الكاتب أراد من خلالها أن يكشف عن حال المستشفيات في تلك الفترة ويصف بشاعة الوضع فيها ويبرز ذلك في الرواية في حدث إدخال زوجة "رشيد بن غوسة" " نصيرة" إلى المستشفى" **أدخلتها المستشفى بعد عناء كبير،ولماذا لم تكلمني؟ كنت استعملت نفوذ وظيفتي واتصلت مباشرة برئيس المصلحة وحتى بالمدير ، تعرفني جيدا يا سي عبد القادر أنا أمقت هذه الطرق الملتوية أكره المحاباة واستغلال النفوذ لأنها تتناقض مع قناعاتي الفكرية والأخلاقية، أن ترى هذا الحشد من الناس البسطاء**

[1]- محمد ساري: القلاع المتآكلة،ص165.

الذين يفترض أنني أساند كفاحهم اليوم ضد المؤسسات واستبداد أقوياء هذا البلد التعيس ينتظرون في طوابير مضجره، مذلة يتوسلون بعيونهم من المستجدية كل لابس بلوزّه بيضاء يمر أمامهم ، وتأتي أنت في آخر المطاف بكل عنجهية ووقاحة وتتقدم إلى الصف الأمامي لأن لك معرفة بمسؤول ما هذا سلوك يزيد الناس إذلالا وينمّي شعور الحقد والضغينة في نفوسهم"[1]

فالسارد يصور ويجسد لنا فضاء المستشفى بصوره غير لائقة به ولا حتى بموظفيه فعوض أن يكون مكان الراحة والشفاء أصبح مسرحا لكل أنواع اللامبالاة والتعدي على حقوق الغير،والسارد من خلال وصفه لحالة المستشفيات أراد اتهام الدولة وتحميلها كامل المسؤولية عن الأوضاع الراهنة للمراكز العامة.

وعليه من خلال دراستنا للفضاء المكاني في رواية "القلاع المتآكلة" نجد أنها كانت تقريبا كلها تحمل آثار وتصدعات الأزمنة ولعبت دورا مهما في تفشي الخطاب الديني المتطرف وكانت فضاءات وأرضيات خصبة استغلتها الجماعات الإسلاموية في نشر فتاويها.

خامسا: تمظهرات الخطاب الديني من خلال الفضاء الزماني في الرواية:

يعدّ الزمن أحد العناصر المكونة للرواية؛ بحيث ترتبط به حلقات النصوص الحكائية، باعتبار أنّه يقوم بعملية ربط العلاقات القائمة بين الشخوص والوقائع والأحداث والأمكنة "**إنّه مجموعة العلاقات الزمنية، السرعة، التتابع، البعد....إلخ، بين المواقف والمواقع المكية وعملية الحكي الخاصّة بهما وبين الزمن والخطاب والمسرود والعملية السردية**"[2] ، ولقد حظي الزمن باهتمام الدارسين والنقاد باعتباره من أبرز العناصر الحكائية الفاعلة التي يتمّ توظيفها داخل البناء الروائي "**وتأتي أهمية دراسة الزمن في السرد من كون**

[1]- المصدر السابق،ص70.

[2]- جيرالد برانس: المصطلح السردي، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة، مصر، 2003، ص231.

هذا النوع من البحث يفيد في التّعرف على القرائن التي تدلّنا على كيفية اشتغال الزمن في العمل الأدبي وذلك لأنّ النص يشكّل، في جوهره وباعتراف الجميع بؤرة زمنية متعدّدة المحاور والإتجاهات وللوصول إلى تحديد دقيق قدر الإمكان."[1]

فالسرد لا يتمّ دون وجود الزمن من حيث أنّ هذا الأخير يكسبه حركيته فهو ومن خلال ما يقدمه للرواية فلا نتصوّر حدث داخل الرواية بدون زمن، كما يعد "**الزمن مظهرًا وهميًا، يزمن الأحياء والأشياء فتتأثر بمضيه الوهمي غير المرئي، غير المحسوس، والزمن كالأكسجين يعايشنا في كل لحظة من حياتنا وفي كل مكان من حركاتنا غير أنّنا لا نحس به**"[2].

إذن فإنّ الزمن مظهر نفسي لا مادي، ومجرد لا محسوس، فهو وعي خفي لكنه متسلط، ويتمظهر في الأشياء المجسدة، كما أنّه يتأرجح بين الماضي والحاضر والمستقبل.

ففي رواية "**القلاع المتآكلة**" يبدأ السرد الروائي ويجري في المراحل الأولى في حركة مركبة، متمثلة في عملية تسلسل في الحاضر واسترجاع في الماضي، فنجد أحداثًا كثيرة تعود إلى أزمنة بعيدة وقريبة، ويتمثل الزمن الروائي من الناحية الموضوعية في فترة بداية العشرية السوداء، ممّا يُؤكد أنّ الراوي رتّب الأحداث في نظام خاص.

1. الإسترجاع:

"وهو مخالفة صريحة لسير السرد يكون بعودة راوي السرد ومحركه إلى حدث سابق يهدف إلى استعادة أحداث ماضية أهمل السارد ذكرها لسبب أو لآخر"[3].

---

[1]– حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي(الفضاء، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، لبنان، 1990، ص113.

[2]– عبد المالك مرتاض: في نضرية الرواية بحث في تقنيات السرد، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، 1998، 172– 173.

[3]– نضال الشمالي: الرواية والتاريخ، عالم الكتب الحديث، ط1، عمان، الأردن، 2006، ص157.

لقد جاء نص رواية " القلاع المتآكلة" حافلاً بالإسترجاع من خلال استحضار الماضي بنوعيه (القريب والبعيد)، والعودة المستمرة إليه مكسرًا حدود البنية الزمنية للرواية، ومن بين الإسترجاعات الواردة في الرواية نميز نوعين هما: **الإسترجاع الخارجي والإسترجاع الداخلي.**

أ-الإسترجاع الخارجي

وهو" **ذاك الذي يستعيد أحداثًا تعود إلى ما قبل بداية الحكاية وهذا النمط من الإسترجاع يمنح الكثير من الشخصيات الحكائية الماضية فرصة الحضور والإستمرارية في زمن السرد الحاضر باعتبارها شخصيات محورية وأساسية كاستحضار صورة الأم المتوفاة**"[1] يمكن رصد الإسترجاع الخارجي من خلال الرواية كالتالي:

"**رد فعل لا إرادي، يذكرني في كل مرّة بالشهور الشاقة التي كان فيها أبي طريح الفراش، يكاد صدره يتفجّر من كثرة السعال ونحن، أمي وأخي الكبير وأختي الصغيرة، الله يرحمهم جميعًا، نتفرج عاجزين ينهشنا الرعب ويرعد أحشاءنا الخاوية، كم كانت قاسية تلك الليالي الشتوية الباردة**"[2]، هنا استرجاع لمراحل حياة "عبد القادر" الطفولية؛ بحيث حاول استذكار فترة من ماضيه وتبيان الأثر النفسي الناجم عن الظروف الصعبة التي نشأ فيها.

"**لرشيد عداوة مع أبيه منذ تلك المشاجرة العنيفة حول الصلاة، كان الأب كعادته مع أولاده حينما كانو صغارًا، يجمعهم خلفه عند كل صلاة طبعًا لم يعد رشيد يصلي منذ انفصل عن العائلة للدراسة.... لكن في إحدى المرات واجهه أبوه بصرامة.... أنت أمام خيارين إمّا أن تعود إلى رشدك وتستأنف صلاتك، وإمّا أنت لست إبني وأنا لا أعرفك وطعامي محرّم عليك.... عارض موقف أبيه..... انفجر الأب غاضبًا وطرده من البيت، لم يعد رشيد إلى دار والديه إلاّ مرتين، كيف يعود إليهما بعد غياب أربع سنوات بل أكثر.**"[3] فقد سعى

---

[1]- نضال الشمالي: الرواية والتاريخ، ص160.

[2]- محمد ساري: القلاع المتآكلة، ص38.

[3]- المصدر نفسه: ص86.

السارد من خلال هذا المقطع على سد ثغرة هامّة في مشوار الحكي الخاص "برشيد"، وأيضا جاء متمّم لمسببات تصرفاته اللاحقة فقد كانت علاقة "رشيد" بأبيه علاقة سيّد بعبده الأب يأمر و"رشيد" يطيع.

"لم يكن زواجه بنصيرة زواجًا عرفيًا تقليديًا، عشقها بكل جوارحه منذ تلك الصبيحة التي رآها تتقدم نحو الطاولة التي كان يديرها داخل الجامعة، كي تسجل نفسها في حملة التطوع الشتوية لصالح الثورة الزراعية.... لقاء دام دقائق معدودات ولكن صورة نصيرة وأريحيتها وصراحتها ملكت جوارح رشيد وجعلته يطارد ضلها في سلالم وأروقة بنايات كلية الآداب والعلوم الإنسانية.... عمل المستحيل لاستمالة قلبها.... هكذا كان الحب ، دام سنتين رائعين"[1] ، لقد سعى السارد في هذا المقطع إلى تبيان العلاقة التي دامت طويلا بين "رشيد" و"نصيرة" مستذكرا بدايتها ومفسّرًا أسباب التغييرات التي طرأت عليها.

ب-الإسترجاع الداخلي:

"وهو الذي يستعيد أحداثًا وقعت ضمن زمن الحكاية أي بعد بدايتها والصيغة المضادة للإسترجاع الخارجي ومن أبرز وسائله التذكر والتداعي"[2] إنّ هذا النوع من الإسترجاعات يختصّ باسترداد أحداث ماضية، وهناك أمثلة كثيرة عن الإسترجاع الداخلي في رواية القلاع المتآكلة من بينها:

"استرسلت ولأوّل مرة في سرد شقاء والدي في أسابيعه الأخيرة، كلما تذكّرتها انقبض قلبي وانقطعت شهيتي للحياة، ذلك الكوخ المظلم، دومًا وأبي ممدّدا في زاوية معتمة، سكون رهيب لا يكسره إلا السعال الحاد المتواصل".[3] هنا استرجاع داخلي من خلال معاناة "عبد

[1]- محمد ساري: القلاع المتآكلة، ص72-77.

[2]- نضال الشمالي: الرواية والتاريخ، ص 158.

[3]- محمد ساري: القلاع المتآكلة، ص65.

القادر" في فترة من فترات ماضية والظروف المزرية الّتي مرّ بها وإبراز مدى ألمه ومعاناته جراء أحداث مأساوية سابقة في حياته.

"**أثناء إفراغ الشيخ لسخطه، تذكرت أنني تولّيت الدفاع عنه منذ أزيد من خمس سنوات بطلب من المحكمة، شيئا فشيئًا، استرجعت ذاكرتي صورة تلك الفتاة التي لم تتجاوز العشرين من العمر**"[1] ، نجد "عبد القادر" هنا يحاول استرجاع واقعة دفاعه عن قضية الطّلاق بين زوجين بسبب المشاكل العائلية. "**أتذكر جيّدًا صبيحة آخر جلسة، حينما اعترض سبيلي هذا الشيخ عند المدخل الخارجي للمحكمة، وطلب منّي أن أخلصه من المشاكل الّتي تنغص حياته**"[2]، ونجده أيضًا في قوله: "**صبيحة ذات يوم غائم وفيما كنت خارجًا من الدار قاصدًا الطاحونة.... خرجت أمي هلعةً كما لو أنها توقعت الصدمة، اقترب منها الدّركي، وصلني صوته ولكنني لم أدرك فحوى كلامه، فجأة أطلقت أمي صرخة مدوية... ركضت نحوها مرعوبًا جلست أرضا تبكي وتردد: وليدي مات.... الميلود مات....**"[3] ، لقد كان موت "الميلود" بالنسبة " لعبد القادر"، مأساة كبرى بعد أن كانت الحياة قد ابتسمت له ولعائلته، و كانت الصدمة الكبيرة الّتي أفاضت الكأس انتشار خبر موت "الميلود" مقتولًا من طرف جيش هواري بومدين في ضواحي البليدة.

"**لم أعرف من أبي إلاّ تلك الصورة المفجعة وهو ممدّد على حصير رث مقمّل ورعب ذلك السعال الحاد الذي يبقيني يقظًا، سجين العتمة، وعرضة لوساوس مخيفة حينما عدت من المقبرة، أحسست بعزلة رهيبة....**"[4]، "عبد القادر" يكشف عن مدى التعاسة والإكتئاب والأثر الذي تركه فيه ماضيه، فكل صورة من حاضره تذكّره بماضيه بكل أشكاله.

---

[1]- المصدر السابق، ص34.

[2]- محمد ساري: القلاع المتآكلة، ص 35.

[3]- المصدر نفسه: ص 104- 105.

[4]- المصدر نفسه: ص 97-98.

نلحظ من خلال الإسترجاعات الخارجية والداخلية التي وردت في الرواية أنها كانت كثيرة وذلك راجع لطبيعة مضمون الرواية التي تحمل قضية متعلقة بمجتمع عاش فترات صعبة في مرحلة من المراحل، أضف إلى ذلك أنّ الاسترجاع قد لعب دورًا كبيرًا في بناء هيكل ونسيج النص، من خلال عمله على سدّ فراغات هامّة ساعدت في تفسير العديد من الأحداث فنجده أحيانا قد استدرجنا من مرحلة الشباب إلى طفولته التي كانت مليئة بالوقائع والأحداث، هذه الأخيرة أثرت على نفسيته كثيرًا وبالتالي غيّرت مسار حياته الشخصية، وأحيانا أخرى يعود بنا إلى ماضي شخصيات محيطة به ويقوم بتوضيح أهم خلفياتها.

2-الإستباق

في مقابل الاسترجاع نجد السارد يلجأ الى استباق الحدث وسرده قبل وقوعه بإعتباره عملية سردية في ايراد حدث آتي والإشارة إليه مسبقا.

" **وهو مخالفة لسير زمن السرد تقوم على تجاوز حاضر الحكاية وذكر حدث لم يحن وقته بعد، وهو مفارقة زمنية تتجه إلى الأمام لتصور حدث مستقبليا سيأتي فيما بعد**"[1]، فيترك تأثيره الخاص في القارئ ويخلق نظرة فاحصة في البناء الروائي ، وللإشارة نجد أن رواية القلاع المتآكلة لم يوظف فيها الكثير من السوابق بقدر ما وظف الإسترجاع بمختلف أشكاله ،ولكن هذا لا يعني أن الاستباق لم يكن له الأهمية الكبرى في الرواية إنما كان له أبعاد مميزة على مستوى الترتيب الزمني ذلك بأنه من الحيل التي يلجأ إليها الروائي قصد خلق حالة تشويق وانتظار لدى المتلقي عموما.

نجد الإستباق في الرواية من خلال المقاطع التالية:

" **قنبلة انشطارية موقوتة تنتظر على أحر من جمر الفضا، انفجارها بين الفينة والأخرى، وأنا على يقين من ألا أحد سيخرج منها سالما،فليستر الله وليحول مجرى الزوبعة الجارفة**

[1]- نضال الشمالي: الرواية والتاريخ، ص165.

بعيدة عنا"[1] في هذا المقطع تلميح قوي لاضطرابات خطيرة وإشارة إلى بداية حوادث مفجعة ساهمت في رفع وتيرة القلق، وزيادة التشابكات والتداخلات التي سنكتشفها لاحقا عبر المسار الروائي.

" **الظاهرة معقدة وخيوطها متشابكة قد تتجاوز التصنيفات العقلانية، الأحقاد كثيرة ومتجدرة منذ قرون في هذه التربة المتعودة على التمرد والعنف"**[2] يعلن السارد في هذا المقطع عن بداية الدخول في عالم جديد غامض المعالم ويلمح الى صعوبة الأوضاع وتأزمها مع الوقت.

" **أنا أستاذ التاريخ أعرف تاريخ هذا البلد قرنا بقرن، شبرا بشبر، فلم تخلوا فترة من مظاهر العنف والمواجهات الدامية بين القبائل المتناحرة حول المراعي والأراضي الزراعية ولا تتوقف إلا إذا تعرضت لغزوة خارجية"**[3] في هذا المقطع نجد السارد يبّين الوضع الحرج الذي تعرض إليه البلد في جميع الفترات بسبب المواجهات بين القبائل وذلك من أجل الأراضي الزراعية.

" **هزتني رنة هاتف كلسعة كهربائية مباغتة، ماذا يريد مني هذا المزعج في هذه الساعة المتأخرة من الليل؟....قتل نبيل...يكون القاتل قد استهدف الأب دون شك فجرفت الرصاصة الإبن أكيد أكيد أنه كان يترصده متخفيا بقرب المتوسطة..."**[4]إنّ مقتل "نبيل" في ظروف غامضة كهذه كانت إفتتاحية للرواية حتى أنها كانت من بين الوقائع التي أدخلت القرية في دوامة من العنف، ويحاول الروائي طرح تساؤل وإجراء بحث حول حقيقة المستهدف الأكبر وهويته.

---

[1]- محمد ساري: القلاع المتآكلة،ص 7

[2]- المصدر نفسه،ص 33.

[3]- المصدر نفسه،ص33.

[4]- محمد ساري: القلاع المتآكلة،ص7-8.

3- التلخيص

وتسمى هذه الحركة الزمانية أيضا بالمجمل و الإيجاز وفيها " **تقدم مدة غير محددة من الحكاية ملخصة بشكل توحي معه بالسرعة**"[1] كما أنه يمثل حركة سردية يقوم الراوي من خلالها إحداث تسريع على ما يرويه من أحداث فيختزل زمن القص ليكون أقل من زمن الخطاب، فيسرد " **أحداث ووقائع يفترض أنها جرت في سنوات أو أشهر أو ساعات، واختزالها في صفحات أو أسطر أو كلمات قليلة دون التعرض للتفاصيل**"[2]، فينتج عن ذلك عدم التوافق بين زمن الحكاية التي يبدو طويلا واتساع لزمن القصة الذي يكون في الغالب قصير يختصر في جمل موجزة أو كلمات معدودة ما حدث في سنوات طويلة .

إن ما يميز التلخيص في رواية "القلاع المتآكلة" أنها تكون في قالب استرجاعي بحيث يقوم السارد بإختزال لحظات كثيرة من العمر في فترات قصيرة وسنتوقف عند بعض النمادج فيها:

" **تعود آخر مرة رأيت فيها نبيل إلى أكثر من خمس سنوات،يوم دعاني أبوه لتناول قهوة مع مجموعة من الأصدقاء بمناسبة نجاحه في مسابقة الباكالوريا**"[3] فالسارد هنا ينتقل بنا إلى ماضي "نبيل" لتسليط قليل من الضوء على الشخصية ولا ريب أن ذلك قد حدث قبل بدأ زمن الرواية. وكذلك يتضح من خلال المقطع التالي:"**بقيت أمي خمس سنوات وهي مطلقة ولم يتقدم إليها أحد إشتهرت بلقب عيشة راجل، كيف تتجرأ على ضرب زوجها ؟ على الزوجة الطاعة والخضوع**"[4]، يلخص لنا السارد الذكريات المأساوية التي عاشها فذكر المدة الزمنية وهي خمس سنوات ولخصها في بضعة أسطر؛ إذ أنه يعتبر سنة الإستقلال ذلك اليوم المشؤوم والتي أضحت لاصقة في ذاكرته وأدخلت في نفسه سُأما وسوداوية." **منذ**

---

[1]- جرار جينيت: نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير، تر: ناجي مصطفى، منشورات الحوار الأكاديمي الجامعي، الدار البيضاء،ط1، المغرب،1989،ص126.

[2]- حميد الحميداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ،ص76.

[3]- محمد ساري : القلاع المتآكة ، ص10.

[4]- المصدر نفسه،ص68.

سنتين تقريبا لم يعد ذلك الطفل الوديع الذي يطيع الأوامر أضحى عنيدا عصبيا ومانعا بل ومعارضا لكل ما أقول وأفعل"[1] نجد في هذا المقطع تلخيص لسنتين كان فيها "نبيل" طالب جامعي مجتهد ذو أخلاق عالية ورفيعة لكن وبسبب الجماعات الضالة وجماعات الجهاد الأفغاني لم يبقى على طباعه وتصرفاته.

لقد كان للتلخيص حضورا لا يمكن تجاهله في فرض التنويع الزمني داخل الرواية وذلك بإسهامه في المرور السريع عبر العديد من المحطات الزمانية الطويلة، كما لعب دور مهما في تسريع الحكي والتركيز على الحدث دون الغوص في تفاصيل مجرياتها.

4- الحذف

هو أحد تقنيات تسريع السرد ويقصد به " **حذف فترة طويلة أو قصيرة من زمن القصة وعدم التطرق لما جرى فيها من وقائع وأحداث فلا يذكر عنها السرد شيئ**"[2] فالسارد يعمد إلى حذف الكثير من الأحداث التي يراها لا تخدم مضمون النص والحذف نوعان:

أ- الحذف الصريح

هو الذي " **يشار إليه بعبارة زمنية تدل على موضع الحذف من قبل** " **مرت أسابيع**" **أو** " **مضت سنتان**" "[3] وممثل في قول السارد :" **أعرف رشيد بن غوسة منذ أزيد من ثلاثين سنة، أيام التكوين في مدرسة المعلمين**"[4] ونجد الحذف موجود في السنوات التي مرت؛ إذ أهمل الأحداث التي جرت في تلك السنوات,

[1]- محمد ساري: القلاع المتآكلة، ص12.

[2]- محمد بوعزة : تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم ، الدار العربية للعلوم ناشرون،ط1، الجزائر العاصمة،2010،ص94.

[3]- نفسه، ص94.

[4]- محمد ساري : القلاع المتآكلة، ص8.

وكذلك قوله " **ولكن منذ أسابيع بدأ الإفراج عنه** "[1]، " **بعد أزيد من خمسة عشر سنة في الشرطة لم تستدرجني الصدفة إلى مشاهدة منظر أبشع مما رأيت، ما هو حجم الحقد الساكن بداخل نفوس هؤلاء لكي يجهزوا على المجروحين بتلك الوحشية**"[2] في هذا المقطع أيضا استخدم السارد تقنية الحذف لتسريع الأحداث؛ إذ نجده يركز على الواقعة التي كان يرويها مفوض الشرطة "سي أحمد" مع إهماله تجازوه لكل الأحداث التي شهدها في باقي سنوات العمل السابقة لأنها لا تضيف شيء إلى الرواية وذكرها سيجعل القارئ يشعر بالملل وكذلك نجد هذه التقنية في قوله: " **أعرف سي أحمد منذ خمس سنوات أن نقل للمدينة هو أيضا من خريجي كلية الحقوق ومن عشاق النظام و الانضباط** "[3] ."

وقوله أيضا: " **أما اليوم وبعد عشر سنوات من الأزمة الاقتصادية و اندلاع الحرب الأهلية المدمرة** "[4]

ب-الحذف الضمني

وهو الحذف الذي تغيب فيه الإشارات وغير مصرح به، " **الذي لا يحدد المدة الزمنية للفترة المحذوفة ليترك للقارئ مهمة تخمينها و تقديرها**"[5] بمعنى أنه يُفهم من سياق الكلام و ممثل في قول الراوي " **زاد تطرفك منذ أن دخلت الجامعة**"[6] فالسّارد في هذا المقطع لم يحدد السنة التي دخل فيها الجامعة بل ركز على تطرف "نبيل" و أنّ الجامعة زادت من حدّته .

---

[1]- المصدر السابق، ص54.

[2]- محمد ساري : القلاع المتآكلة ، ص52.

[3]- المصدر نفسه، ص57.

[4]-المصدر نفسه، ص132.

[5]- محمد بوعزة : تحليل النص السردي تقنيات و مفاهيم ، ص94.

[6]- محمد ساري: القلاع المتآكلة، ص96.

" **كنت دوما متفوقا في الامتحانات...إلى غاية تلك الصائفة الملعونة ماتت أمي المقهورة ، ذهبنا لحضور الجنازة هناك في قرية أولاد موسى عند أعمامك لتقضي بقية أيام العطلة**"[1] في هذا المقطع ذكر لنا السارد على لسان "رشيد" أن بداية تغير "نبيل" كان تأثره بأعمامه الذين هم الآخرون كانوا متدينين ولكن لم يذكر لنا الفترة بالتحديد التي ذهب فيها "نبيل"، مع حذف الكثير من الأحداث وتغير شخصيته.

" **صحيح أنني ريفي و قد قضيت طفولتي كلها بين دروب الوهاد و الشعاب الملتوية الصاعدة الهابطة، ولكن تلك الأماكن و ذلك الطفل الشقي لم يعد إلا صورة موجعة في الذاكرة**"[2]

نلحظ الحذف في الكثير من مقاطع الرواية؛ إذ ركز السارد على الأحداث الأساسية التي تخدم نصه أمّا الأحداث الثانوية فعمد إلى الإشارة إليها فقط مع حذف التفاصيل بهدف لفت انتباه القارئ و الربط بين أحداث الرواية.

من خلال ما سبق نخلص إلى القول أن أزمة العشرية السوداء قضت على الأخضر و اليابس ولم تترك أيّ شيء إلّا وجرفته في طريقها ، فالسارد يسجد لنا تلك الحروب بين السلطة و الجماعات الإرهابية التي أدخلت المجتمع في دوامة جعلته يتخبط في فوضى شديدة ولقد وضع لنا صورة المجتمع الجزائري آنذاك من صراع بين فئات المجتمع المختلفة فقد شهدت الجزائر عمليات التخريب والعنف والقتل أمام أعين الناس .

[1]– المصدر السابق، ص93.

[2]– محمد ساري : القلاع المتآكلة ،ص50.

خاتمة

خاتمة

من خلال دراستنا لموضوع تمظهرات الخطاب الديني في رواية "القلاع المتآكلة" وفق المنهج السوسيونصي، نخلص إلى جملة من النتائج ولعل من أهمها :

- كشفت الدراسة على أن الخطاب الديني في أغلب الأعمال الأدبية أصبح يُشار إليه بالمفهوم الجديد الذي أشاعته الحركات الإسلامية إمّا نقدا له أو تحذيرا منه كما جاء في الرواية موضوع الدراسة.
- أمّا الخطاب الديني الجديد مع بداية التسعينات كان نتيجة ظروف إجتماعية وسياسية ليصبح صراعا مكشوفا وصل حدّ العنف والتمرد، بين الأنا(الشخصية المتطرفة) والآخر(السلطة السياسية) ليشكل بذلك مادة ثرية للأدباء في تلك الفترة.
- ركزت دراستنا خاصة على الكشف عن تجلي الخطاب الديني في الرواية على مستوى الشخصيات وذلك باستحضار المرجعية الفكرية للشخصيات الإسلامية وظاهرة العنف و احتواء الأصولية بوصفهما تيمتين أديولوجيتين استطاعتا احتلال مساحة واسعة في الكتابة الروائية.
- احتوت الرواية على مجموعة من الأفضية ذات خصائص متميزة فأحداثها تجري في عدة أمكنة والّتي وزعها الكاتب بين فضاءات مفتوحة و أخرى مغلقة لتحمل معاني متنوعة وتتغير دلالتها بفعل الخطاب الديني المتطرف وتأثيره عليها.
- حاول السّارد في هذه الرواية الكشف عن الشخصيات وأنماطها وفق موضوع الرواية وإبراز مواقفها من خلال الوضع المتأزم، وصراع الأديولوجيات المختلفة والهويات والخطاب و منظومة الأفكار، وقد ربط السارد بين الشخصية والمكان فجعل العلاقة بينهما علاقة تأثير و تأثر ونفور في أغلب الأحيان.

- كما كشفت دراستنا على المفارقات الزمنية تنوعت بين الإستباق والإسترجاع (داخلي وخارجي) والحذف(صريح وضمني) والتلخيص .
- يشكل التطرف الإشكالية الأساس في الرواية من حيث المواضيع، ويتدفق من بدايتها إلى نهايتها مشكلا تيمة أساسية ميزت معظم روايات الأزمة،من خلال ما تتلفظ به الشخصيات المتطرفة واحتواءها لتيمات جديدة (الموت ، العنف، القتل، التعذيب...).
- بروز ملامح المجتمع الجزائري التسعيني ومعاناته من مشاكل سياسية كفساد السلطة واجتماعية كالصراع الطبقي.
- كانت رواية "القلاع المتآكلة" هي النموذج الذي حاول الكاتب"محمد ساري" من خلاله استحضار المرجعية الفكرية للشخصيات الإسلامية؛ بحيث جاءت أحداث الرواية للكشف عن ملامح الخطاب الديني المتطرف، وذلك من خلال رصده و تصويره لمختلف الوقائع الشنيعة الّتي عمّت أرجاء البلاد في تلك الفترة.

تعد هذه أهم النقاط التي تطرقّنا إليها في دراستنا والّتي حاولنا من خلالها فك شفرات موضوع الخطاب الدّيني في الرواية، وإبراز تمظهراته على مستوى الأفكار والعناصر السردية.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

أولا: المصادر

1. محمد ساري: القلاع المتآكلة، منشورات البرزخ ، الجزائر، 2013.

ثانيا: المعاجم

2. أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، ج2، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
3. الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، ج1، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان.
4. لويس معلوف: المنجد في اللغة، دار الشرق، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1991.
5. الفيروز أبادي: القاموس المحيط ، مؤسسة الرسالة، ط فنية منقحة مفهرسة.
6. قطب مصطفى سانو: معجم المصطلحات وأصول الفقه، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1،2000.
7. ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، مجلد5، ط جديدة، بيروت، لبنان، 2000، مادة (خ ط ب)

ثالثا: المراجع

المراجع بالعربية:

8. أحمد مرشد : البنية و الدلالة في روايات ابراهيم نصر الله ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،ط1،2005.
9. بسام عبد الرحمن المشاقبة: مناهج البحث الإعلامي وتحليل الخطاب، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2014.

10. بوعلي كحال، معجم مصطلحات السرد، عالم الكتب للنشر و التوزيع، الجزائر، ط1، 2002.

11. بن جمعة بوشوشة: إتجاهات الرواية في المغرب العربي، الدار المغاربية للطباعة والنشر، ط1،1999.

12. حاتم رشيد: الأزمة الجزائرية إلى أين، دار سندباد للنشر، عمان، الأردن، 1999.

13. حافظ بن إسماعيل البخاري (صحيح البخاري) (ت256): الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض،1998.

14. حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي(الفضاء، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، لبنان، 1990.

15. أبي الحسين تقي الدين السّبكي: فتاوى أبي الحسن تقي الدين السّبكي، ج2، دار المعرفة، بيروت، لبنان

16. جيرالد برانس: المصطلح السردي، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة، مصر، 2003.

17. حفيظة أحمد: بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية، منشورات الرعاة للدراسات والنشر، ط1، فلسطين2007.

18. حميد لحمداني: بنية النص، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر و التوزيع، ط1، 1991.

19. سعد بن البشير العمامرة: الأزمة السياسية الجزائرية 1988-1999، مطبعة الرمال، الجزائر، 2019.

20. سعد الدين العثماني: الدين والسياسة تمييز لا فصل، دار الكلمة للنشر والتوزيع، ط2، مصر، 2013.

21. سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي(الزمن- السرد- التبئير)، الدار البيضاء، ط2، بيروت، 1997.

22. سليمان الرياشي وآخرون: الأزمة الجزائرية الخلفيات السياسية والإجتماعية والإقتصادية والثقافية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1،بيروت، 1999م.
23. شاكر النابلسي: جماليات المكان في الرواية العربية، ط1،دار الفارس للنشر و التوزيع، الأردن ،1994.
24. ضياء غني الفتة: البية السردية في شعر الصغاليك، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان،ط1، 2010.
25. الطاهر سعود: الحركات الإسلامية في الجزائر الجذور التاريخية والفكرية، مركز المسارللدراسات والبحوث، ط1،دبي الإمارات المتحدة العربية، أوت2012.
26. عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2004.
27. عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية ، بحث في تقنية السرد، المجلس الوطني الثقافي و الفنون،1998م.
28. عبد الواسع الحميري: ما الخطاب وكيف نحلله، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 2009
29. عطاء الله أبو الرشت: دراسات في أصول الفقه تسيير الوصول إلى الأصول، دار الأمة، ط1، 2002.
30. فنسينك وآخرون: دائرة المعارف الإسلامية، وزارة المعارف المصرية، مصر، 1933.
31. فيصل دراج: نظرية الرواية والرواية العربية ، المركز الثقافي العربي ،ط1، الدار البيضاء، 1999.
32. محمد بوعزة : تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم ، الدار العربية للعلوم ناشرون،ط1، الجزائر العاصمة،2010.
33. محمد الرحموني: الدّين والأيديولوجيا جدلية الديني والسياسي في الإسلامي والماركسية، دار الطليعة للطباعة و النشر،2005.

34. محمد عبد الفتاح عمار: الخطاب الديني تجديد لا تبديد وتطوير لا تحريف، داركنوز، القاهرة، ط1، 2017

35. محمد غنيمي هلال : النقد الأدبي الحديث، دار النهضة، مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1997مّ.

36. محمد ناصر الدين الألباني: فتنة التكفير، دار الوطن للنشر، ط1، الرياض، 1417هـ.

37. محمود بن عمر الزمخشري: أساس البلاغة، ج1، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1998م.

38. محمود محمد أحمد: تطوّر مفهوم الجهاد دراسة في الفكر الإسلامي المعاصر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1، بيروت، 2015.

39. نصر حامد أبو زيد: نقد الخطاب الديني، سيما للنشر، ط2،1992.

40. نضال الشمالي: الرواية والتاريخ، عالم الكتب الحديث، ط1، عمان، الأردن، 2006.

41. نور الدين الزاهي: المقدس الإسلامي ، دار توبقال، ط1، المغرب،ً2005.

42. ياسمينة خضرا: خرفان المولى، تر: محمد ساري، دار الفارابي، ط1، بيروت، لبنان، 2011.

43. يحي أبو زكريا: الحركة الإسلامية في الجزائر (1978-1993)، مؤسسة العازف للمطبوعات،ط1، بيروت، لبنان، 1993.

44. يمنى سعيد، تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، دار الفرابي، بيروت، لبنان، ط1، 1990.

45. يوسف القرضاوي: الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف، دار الشروق،ط1، القاهرة، 2001.

46. يوسف القرضاوي: خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، دار الشروق، ط1، 2004.

المراجع المترجمة

47. إليكس تفكشيلي: الهوية، ترجمة علي وطفة، دار الوسيم للخدمات الطباعية، ط1، دمشق، سوريا

48. بياربورديو: الهيمنة الذكورية، ترجمة: سلمان قعفراني، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت، أفريل 2009.

49. جرار جينيت: نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير، تر: ناجي مصطفى، منشورات الحوار الأكاديمي الجامعي، الدار البيضاء،ط1، المغرب،1989.

50. غاستون باشلار: جماليات المكان، تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، بيروت، لبنان، 1984.

51. مايكل أنجلوكوبوتشي: أعداد الحوار أسباب اللاتسامح ومظاهره، مكتبة الأسرة، القاهرة، مصر، 2010.

رابعا: المجلات والمقالات

52. رضا عامر، كريبع نسيمة: رواية الأزمة المكتوبة باللغة الفرنسية وإشكالية الترجمة، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، المجلد2009، العدد1، صدرت عن جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، كلية الآداب واللغات، 31-03-2009.

53. سليمان فرحات: العشرية السوداء...حكاية الجزائر مع الإرهاب الإسلاموي، مدونات عربية نفحات من وحي الحرية، 17أوت2015.

54. سناء كاظم كاطع: المنطلقات الفكرية للحركة الإسلامية الجزائرية وجدلية العلاقة مع النظام السياسي، مجلة الدراسات الدولية، العدد 45.

55. شادية بن يحي: الرواية الجزائرية ومتغيرات الواقع، 4 ماي 2013.

56. صليحة شتيح: صراع الهويات والذوات في رواية القلاع المتآكلة لمحمد ساري، المجلات الأدبية والثقافية العربية، العدد99، 1 مارس 2017.

57. عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة، ج1(أ–ث)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان.

58. عمرزقاي: التطور التاريخي ونشأة الخطاب الديني غير الرسمي في الجزائر، مجلة الآداب واللغات، العدد1، 24–01–2006.

59. غنية بوجرة:مأساة المكان واغترابه، جامعة الحاج لخضر باتنة،مجلة النص تصدر عن كلية الآداب واللغات، ع3، 2016.

خامسا: الرسائل الجامعية

60. زغليط عبد العالي: الخطاب الديني في الرواية الجزائرية المعاصرة، مذكرة دكتوراه، تخصص أدب عربي معاصر، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف2، 2016–2017.

61. سليمة خليل: الحداثة السردية في الرواية الجزائرية نقد المرجعيات في رواية الأزمة ، أطروحة دكتوراه في الآداب واللغة العربية، تخصص السرديات العربية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، كلية الآداب واللغات، 2016–2017.

62. مليكة صياد: المحظور الديني في الرواية الجزائرية المعاصرة، أمين الزاوي وآسيا جبار أنموذجا، أطروحة تدخل ضمن شهادة الدكتوراه، تخصص النقد الجزائري المعاصر، جامعة زيان عاشور بالجلفة، 2018– 2019.

63. مليكة ضاوي: تجليات الأزمة في الرواية الجزائرية (1995–2005)، مذكرة دكتوراه تخصص أدب جزائري، جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة، 2014.

ملحق

الملحق رقم 01: نبذة تعريفية عن الكاتب محمد ساري

محمد ساري من مواليد1 فيفري 1958 بشرشال، ولاية تيبازة بالجزائر وهو أستاذ السيميولوجيا نظرية الأدب، قسم اللغة العربية كلية الآداب واللغات في جامعة الجزائر، كتب باللغتين العربية والفرنسية كما اشتغل في حقل النقد، حصل على شهادة البكالوريا في دورة جوان 1976، وعلى شهادة الليسانس في جوان 1980 بمعهد اللغة والأدب العربي بجامعة الجزائر كما تحصل على شهادة ديبلوم الدراسات المعمقة بجامعة السوريون بباريس في جوان 1981 وأخيرًا شهادة ماجيستر سنة 1992 تحت عنوان المنهج النقدي عند محمد مصايف.

بدأ محمد ساري حياته مبدعًا فكتب الشعر في المتوسطة والثانوية أمّا في الجامعة فقد كتب الرواية مباشرة وهو في قسم اللغة عربية، ثمّ تعرف على النقد والبحث الأكاديمي فكتب المقالات الأدبية ونشرها في النادي الأدبي لجريدة "الجمهورية" ومجلة "أمال".

أمّا الترجمة فقد جاءت بعد ذلك من خلال قراءته باللغة الفرنسية وحاجته كأستاذ للمعرفة النقدية والأدبية والعالمية.

محمد ساري واحد من النقاد الجزائريين اللّذين انتقلوا من ممارسة النقد إلى تجريب الكتابة الروائية، على الرغم من مساهمته المتميزة في مجال الدراسات النقدية لكنه لم يخرج بدورة عن الطابع العام لهواجس الكتابة الروائية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية.

أهم أعماله:

- **في النقد الأدبي:**

- البحث عن النقد الأدبي الجديد 1984.
- محنة الكتابة 2007.
- في معرفة النص الروائي (دراسات نقدية بين النظري والتطبيقي) 2009.
- الأدب والمجتمع 2009.
- وقفات في الفكر و الأدب والنقد 2013.

- **في الإبداع الروائي:**

- البطاقة السحرية 1983.
- السعير 1986.
- على جبال الظهرة 1988.
- الورم 2002.
- الغيث 2007.
- القلاع المتآكلة 2013.

- **في مجال الترجمة:**

- رشيد بوجدرة: رسائل جزائرية 2009.
- محمد ديب: سطوح أرسول (الجزء الأول)،من ثلاثية الشمال 2011، غفوة حواء (الجزء الثاني) 2011، ثلوج من زجاج (الجزء الثالث) 2011.
- مليكة مقدم: رواية الممنوعة.

_ ياسمينة خضرا: خرفان المولى 2009.

صورة الكاتب محمد ساري

الملحق رقم02: ملخص رواية " القلاع المتآكلةّ

في رواية القلاع المتآكلة "لمحمد ساري" يستعيد ذكريات العشرية السوداء في الجزائر، تلك السنوات العشر التي تأججت الحرب فيها بين جهاز الأمن الجزائري، شرطة وجيشًا والمتطرفين الإسلاميين اللذين أشاعوا الإرهاب في ربوع البلاد وسفكوا دماء العباد.

تتحدث الرواية عن سيرة "المحامي عبد القادر بن صدوق" وصديقه "رشيد بن غوسة" حيث دارت أحداثها حول الحياة لرشيد الأستاذ الشيوعي الملحد الذي مثّل المحور الأساسي للرواية أما عين الكرمة فكانت مركز لأهم حادثتين عرضهما العمل الروائي فمقتل "نبيل" إبن "رشيد" كان له الأثر الكبير على مجريات الأحداث حيث وجد قتيلًا في ساحة المدرسة الّتي يتواجد بها المسكن الوظيفي الذي يقطن فيه، وكان ذلك في وقت متأخر من الليل، لكن كيف حدث هذا بقي الأمر مجهولاً، تتوقف الرواية عند العلاقة التي تجمع نبيل بوالده التي لم تكن جيّدة وذلك لاختلاف نظرتهما للدين، فنبيل أصبح مؤخرًا من الجماعات الإسلامية حسب الزي الذي كان يرتديه وأبوه رجل ملحد مما زاد الترتر في علاقتهما، وبحضور سي أحمد وهو محافظ الشرطة "بعين كرمة" رجل يقوم بعمله بعيدًا عن كل ما يقال من كلام مسيء في حق الشرطة، لكن لم تحدد الجريمة أهي انتحار أم عملية قتل مدبّر لها ؟.

لم تنم عين الكرمة من فاجعة ما حدث إلاّ أنّ الصباح أتى بفاجعة أشنع وهي مقتل ستة من رجال الشرطة في كمين نصبه الإرهابيون عند المدخل الجنوبي للمدينة، وبالضبط في جسر الصفصافة، إذ اعترضو الشاحنة المقلّة للمساجين، اثنين منهم متّهمين بتخريب وحرق مقر البلدية، والثالث موكّل المحامي عبد القادر الصحافي "يوسف عياشي" دفن نبيل في نفس اليوم بعد صلاة العصر كما دفن شرطيين من الستة الذين قتلو في الكمين إنّهما من عين الكرمة، أمّا آخرون فنقلت جثمانهم إلى قراهم الأصلية في حين السجناء اثنين منهم هربوا والثالث وجدوه جريحًا وهو الآن في المستشفى لكن بقي السؤال الذي يشغل عبد القادر هو مصير يوسف عياشي بعد أن اتّضح أنّ السجين الجريح طبيب.

لقد توالت المصائب على رشيد، بعد أن اكتشف مرض زوجته "نصيرة" بسرطان الثدي الورم الخبيث، نصيرة كانت امرأة مسلمة متحررة فالبرغم من إلحاد زوجها إلاّ أنّها كانت متقبلة لوضعه ولم ترغمه على العبادة والصوم يومًا ، معاناة رشيد والأيام التي يمر بها جعلت عبد القادر يتذكر سنين الشقاء التي عاشتها عائلته، فقد مات أبوه من كثرة الأمراض التي احتلّت جسده بعد معاناة، ولحقت أخته الصغيرة بأبيها في إحدى نوبات الصرع وكذلك مقتل أخيه الميلود عند التحاقه بالجيش ثم موت أمه إلى أن بقي وحيدًا يتيم العائلة.

إنّ مرض نصيرة جعل رشيد يضعف وينهار فقد انقلبت حياته رأسًا على عقب، فقد جاء في وقت غير مناسب أمّا بخصوص مقتل نبيل فقد استمرّ التحقيق وظهرت بعض الحقائق الجديدة بعد أن قدّم رشيد دفترًا لعبد القادر لعله يصل إلى خيط لحل القضية، ولقد اتّضح أنّ هذا الدفتر مذكرات نبيل كان يدون عليه كل ما يحدث معه، ومن خلالها عرف عبد القادر أنّه كان ضحية لمناضلي الحركة الإسلامية المتطرّفة، وذلك من خلال زميله ياسين وهو أحد أبرز أعضاء هذه الجماعة كان يحاول جاهدا ضم نبيل لجماعته، فنبيل كان ضعيف الشخصية ممّا أدّى به إلى الإنضمام عليهم ومحاولة إقناعه بقتل والده الفاجر وأنّه يستحق الموت وتخليص البشرية منه، وبذلك يصبح جنديًا من جنود الله ومن المبشرين بالجنّة وإذا قتله سيصبح واحد منهم وهذا ما جعل نبيل يعيش صراعًا داخليًا حادًا، فيصاب بإحباط كبير ويغوص في متاهات الإضراب النفسي ممّا أدّى ذلك إلى وضع حد لحياته.

إنّ معرفة حقيقة مقتل نبيل زادت من حقد رشيد على هذه الجماعة الإسلامية وعزم على الثأر لابنه منهم، ممّا زاد من معاناته وألمه خاصة وأنّ حالة زوجته في تدهور يومًا بعد يوم، وكالعادة اتّجه المحامي عبد القادر إلى مكتبه صباحًا ليتفاجأ بخبر صاعق وهو مقتل محافظ الشرطة سي أحمد، وقد قتل بالقرب من منزله وحسب شهادات الجيران فقد قتل من طرف الإرهابيين والذي أطلق عليه الرصاص وهو في سيارة الشرطة، قرّرت عائلة سي أحمد دفنه في مسقط رأسه في قريته التي تقع في أعالي جبال البليدة، بعد اغتيال المحافظ جاء الرد سريعًا وقويًا، فقد قضت الشرطة على ستتة إرهابيين وعرضت جثثهم في الساحة العمومية، وتبيّن فيما بعد أنّهم الجماعة المسلحة التي تسبّبت في مقتل نبيل ومحافظ الشرطة، إذ كان

من بينهم عبد الجبّار زعيم الجماعة وياسين الشاب قصير صاحب البشرة السوداء صديق نبيل، بالإضافة إلى يوسف عياشي الصحفي كانت أجسادهم ممتدّة بعشوائية ألبستهم متّسخة بالتراب وملطّخة ببقع حمراء وسوداء، اغلب الوجوه ملتحية ومشوهة بجروح تنم عن المشادّات الضارية التي وقعت بين الطرفين.

أبقى محمد ساري نهاية روايته مفتوحة، والسؤال المطروح هو: هل ستعود عين الكرمة إلى طبيعتها وإلى إنسانيتها أم لا ؟.

فهرس المحتويات

المحـــــــــــــتـــــــــوى	رقم الصفحة
شكـــــــــــر وتقديـــــر	-
الإهـــــــــــــــداء	-
مقـــــــدمـــــــــــــة	أ-ج
الفصل الأول: الخطاب الديني وخلفيات تشكله السياسية والإجتماعية	5-22
أوّلا: مفهوم الخطاب	5
1- لغة	5
2- اصطلاحا	7
ثانيا: مفهوم الخطاب الديني	11
ثالثا: ظروف وخلفيات تشكل المفهوم الجديد للخطاب الديني في فترة الأزمة	14
الفصل الثاني : تمظهرات الخطاب الديني في روايات "القلاع المتآكلة"	25-69
أولا: أدلجة الدّين في الرواية	25
1. التكفير	26
2- الجهاد	27
3- صراع الهويات	29
4 اللباس	31
5. المرأة	33
ثانيا: تمظهرات الخطاب الديني من خلال شخصيات في الرواية	35
أ: الشخصيات الرئيسة	36
ب: الشخصيات الثانوية	40
ثالثا : تمظهرات الخطاب الديني من خلال المعجم اللغوي	45
رابعا: تمظهرات الخطاب الديني من خلال الفضاء المكاني	48

1- الأماكن المفتوحة	**49**
2- **الأماكن المغلقة**	**56**
خامسا : تمظهرات الخطاب الديني من خلال الفضاء الزماني	**59**
1- الاسترجاع	**60**
أ- الاسترجاع الخارجي	**61**
ب -الاسترجاع الداخلي	**62**
2- الاستباق	**64**
3- التلخيص	**66**
4 – الحذف	**67**
أ -الحذف الصريح	**67**
ب-الحذف الضمني	**68**
خـــــــــــاتمـــــــة	**71**
قائـمة المصـادر والـمـراجع	**74**
مـــــــلـــــحـــــــــق	**81**
فهـــــــرس المحتويـــــات	**87**
فـــــهـرس المـــــلاحـــق	**89**
مـــلـــــــــــــــخص	**91**

رقم الملحق	الملحق	رقم الصفحة
01	نبذة تعريفية على الكاتب محمد ساري	81
02	ملخص رواية القلاع المتأكلة	83

ملخص

ملخـص

يعالج هذا البحث موضوع الخطاب الديني في رواية القلاع المتآكلة لمحمد ساري وهذه الأخيرة حاولت الغوص والكشف عن أهم أسباب الازمة الجزائرية في فترة التسعينات انطلقت الدراسة من المفهوم اللغوي والاصطلاحي للخطاب ومن ثم وضحنا مفهوم الخطاب الديني ثم سعت إلى إيضاح خلفيات تشكل الخطاب الديني السياسية والإجتماعية في الجزائر بمفهومه الجديد المتطرف و إبراز أهم الظروف التي دفعت به إلى السطح ، وانتقلنا من خلالها الى ابراز أهم المظاهر كالأدلجة التي تمس الدين وأدلجته في الرواية المعتمدة نموذجا، كما تعمقنا في البحث عن كيفية تمظهر الخطاب الديني في الرواية من خلال الفضاء المكاني و الفضاء الزماني و المعجم اللغوي، و الشخصيات وكيف تم تدنيس المقدس الديني فيها.

الكلمات المفتاحية: الخطاب، الخطاب الديني، أدلجة الدين، الرواية، محمد ساري.

Summary :

This research deals with the issue of religious discourse in the novel The Eroding Castles by Mohamed Sari. The latter attempted to dive in and reveal the most important causes of the Algerian crisis in the .nineties

The study started from the linguistic and idiomatic concept of discourse, and then we clarified the concept of religious discourse, and then sought to clarify the backgrounds of the formation of religious discourse in Algeria with its new, extremist concept, and to highlight the most important circumstances that pushed it to the surface, and we moved through it to highlight the most important

aspects such as the evidence that affects religion and its inclusion in the novel It is adopted as a model, and we also delved into the search for how the religious discourse is manifested in the novel through the spatial space, the temporal space, the linguistic lexicon, .the characters, and how the religious sanctity was profaned in it

Keywords: discourse, religious discourse, ideology of religion, novel, Muhammad Sari